
رحلة قلب
محتاجها كل قلب


شريف شحاتة
sherif4u.com



رحلة قلب

محتاجها كل قلب

مع

شريف شحاتة

www.sherifshehata.net

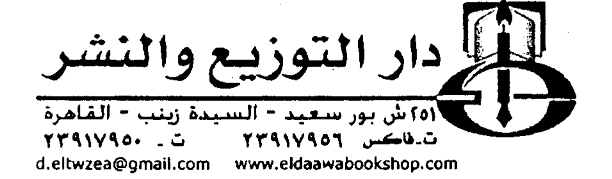


الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رحلة قلب

رقم الايداع
٢٠١١/١٥٩٢٥
الترقيم الدولى .I.S.B.N
978-977-265-863-1



الإهــداء

إلى كل نفس لتعلو همتها..

إلى كل قلب يحن إلى ربه..

إلى كل عاصٍ آن أوان الإحـرام ..

إلى كل طائع يبحث عن القبول..

إلى كل شاب ينادى: أين الطريق؟!..

إلى كل فتاة تنشد خـريطة السعادة..

إليكم أنتم أيها الشباب..

فماذا أنتم لـربكم مقدمون؟!

وبقلوبكم متطلعون؟!

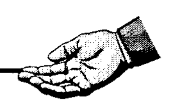
وفى رحلتكم فاعلون؟!

فاركب معنا.. وقدِّم أوراقك.. وخذ مكانك..

شريف..

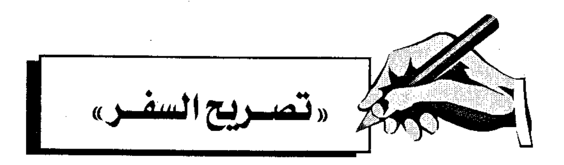






تذكرة سفر

- **الاسم:** قلب محبوس محروم.
- **العنوان:** الدنيا.
- **نقاط الإقلاع والوصول:** من الدنيا وضيقها إلى الفردوس الأعلى فى الجنة.
- **رقم الرحلة:** مستعجل جدًّا.
- **ساعة الإقلاع:** الآن.
- **عمر التذكرة:** حتى الوفاة.
- **سبب السفر:**
  - تعب القلب من الدنيا وهمومها.
  - سيطرة الصحبة السيئة والشهوات على القلب.
  - تحسين الأوضاع القلبية والعملية مع الله حتى يرضى ربى عنى.
  - أفرح نبيٍّ ﷺ فى الآخرة.
  - أنجح فى حياتي.
- **اسم المكتب:** رحلة قلب
- **الاستعلامات:** www.sherifshehata.net



الحمد لله المنفرد بالعز والجلال، المتفضل بالعطاء والاتصال، سخر السحاب الثقال، أحمده على كل حال، وأصلى على رسوله محمد أشرف من نطق وقال.. اللهم صلِّ عليه وعلى جميع الأهل والآل.

أما قبل..

يعيش الإنسان منا حياته.. منا من أدرك غايته فيسعى باحثًا عن تحقيقها.. دائبًا العمل فى إحرازها..

ومنا من يقطع مشوار حياته فى جمع الأموال.. واشتباكًا فى المشكلات.. وعشقًا للشهوات..

وكأن حياته مضيق يحمل بين ثناياه كلمات محددة.. أكلوا وأكلنا، وشربوا وشربنا، وجمعوا وجمعنا، وتزوجوا.. وتزوجنا ثم بعد قليل لم يتبقَّ إلا ماتوا و.. متنا!!

وكأن الحياة التى خطها لهم التاريخ تنحصر فى حروف معدودات: «أرحام تدفع وأرض تبلع!!»

أما بعد..

يا حبيب رسول الله:

اعرف غايتك وحدد واجبك واضبط وجهتك... واقطع الطريق نحو السباق والجوائز ترتقب..

فلماذا لا يزيد الإنسان من قيمته؟

ولماذا لا يغالى بثمنه؟

ويدافع بنفسه عن قلبه؟!

وللأسف الشديد ..

فى أحضان البطالة تولد آلاف الرذائل وتختمر جراثيم الكسل واليأس.. ودومًا الفارغون هم أفلس الناس... لا حصاد ينتظرهم.. ولا مجد يهفو إليهم.. لأنهم فارغون كسالى.. نسوا حياة قلوبهم..

أقول لكم:

عن تجربة عانيتها.. وأيام عشتها..

كم خدعنا بالأماني الكاذبة والخيالات الفارغة؟!

وكم غفلنا عن طرق ربنا مرارًا وتكرارًا؟!

لأن من أعظم مصائب هذا الزمان خسة الهمم وبرود العزائم وفتور الأرواح..

انشغال بما يلهي.. إصرار على الهلاك..

لا في العبادة مستمرون.. ولا في عمل الآخرة مجتهدون.. ولا في معالي الأمور مغامرون..

وعند الإنسان عمر واحد إما وإما.. ونفس واحدة إما وإما.. وقلب واحد إما وإما..

ومن ورائهم إما نار وإما جنة ..

للعقلاء فقط :

فإذا أمسكت بيمينك مصباحًا وثقبته ملأه الهواء.. ونهشته الشوائب..

فما بالك بنفس فارغة؟! وأوقات تائهة؟!

وقلوب ضائعة منسية؟!!!

فحتمًا سيغزوها كل هوى.. وسيقتحمها كل شيطان.. وسيدمرها كل فشل.. فتتبدد مشاعر النجاح وتنعدم نسائم التفوق.. وتنتحر بشائر التميز.. وتذبل زهرة الإيمان.. فتموت فى نفسه ويفسد قلبه ويتلاشى تفكيرهما من رأسه..

أصدقائي:

السفر علينا مكتوب.. والرحيل علينا مثبوت.. فما لنا نطلب الإقامة ليست لنا مقامة؟!

السنون تمر.. والشهور تفر.. والعمر يتهدم كلما الزمن تقدم.. والأنفاس عندك خطوات والمعاصي قطاع طرق يضيعونك ويأخرونك..

خلقنا من طين، ثم إلى الرحم، ثم إلى ظهر الأرض، ثم إلى حفرة القبر، ثم إلى موقف العرض..

ومنه إلى الجنة أو النار...

أقول لي ولك:

قد قطعنا نصف الطريق وبقى الأصعب...

يا شباب:

حياتك.. أيامك..

رحلات متفرقة ترى فيها ما تحبه وما لا تحبه..

ما تختاره وما لا تختاره:

(العمرة – العمل – سفاري –

المسجد – الجامعة – عمل الخير

– النادى.. وهكذا؛.....)..

كلها رحلات تصب فى القلب..

فيتأثر بها.. ويعيش فيها.. وتستقر فى مفاهيمه..

وتنضح فى سلوكه.. وتصبح حاله.. وتكتب عنوانه..

فأصلح معنا قلبك.. والفرصة فى يديك..



يا أخانا: لا بد من شحذ الأوقات وإدراك قيمة الساعات.. فهل ترى معى أفضل من التطلع فى كتاب الله، والتنزه بين آياته؟.. ولذة التدبر فى معانيه؟..

يا أختنا: هل تدركين أن حياة القلب ورحلته فى الدنيا.. تصنع منه قلبًا زكيًّا مخلصًا تقيًّا سعيدًا

إخوانى: إن هذه الرحلة متنوعة تأخذ القلب فى شتى الميادين.. ومختلف الاتجاهات.. إذا اشتدت الرحلات فكأمواج البحر الزاخرة.. وإذا لانت ففيها أنفاس الحياة الجميلة.. فيا لها من معانٍ تروي قلبك من عطش القسوة.. ونور تبصر به فى مرآة الإيمان .. فيعيش القلب سعيدًا بطاعة ربه.. فرحًا به.. منتظرًا ثوابه.. مؤملًا رضاه.. ومن ثم تهب رائحة الجنة مع الأحبه محمد وصحبه..

جـرِّب الآن ..

عليك أن تنسى أين تجلس؟! ومع من؟!.. وماذا تقرأ؟!.. وفرغ قلبك واذكر ربك، ولكن ثبت يقينك أولًا على زحف الطمأنينة وتوغلها فى قلبك على رصيد همومك وأحزانك.. لينهدر عليك من منابع السعادة ما لم يكن لك فى حسبان.. وجرب الآن.. وأنتظر منك الرد..ها؟!!

ألم أقل لك؟!..

قلبك يحتاج إعادة نظر!!

وتذكروا يا أحباب..

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالقلب له إقبال وإدبار.. ونشاط وفتور.. وإشراق وغروب..

ونحن فى رحلاتنا نحاول اقتناص الفرصة وانتهاز الوقت.. كى نصنع قلبًا ربانيًا.. يكون على المنهج القويم.. وعنده وضوح فى الرؤية وسلامة إن شاء الله فى العاقبة..

وبالتالى ينعم بحلاوة المصير وحسن الخاتمة وسكينة النفس وسعادة فى الحياة..

يا هذا:

ستسمع معنا عن أخبار الشباب الصالحين.. فسر فى دربهم واسلك طريقهم.. وتناول معنا من شربهم.. وسوف نسأل وندعو ونناجى من أعانهم..

والله المستعان..

والخلاصة أيها الهمام:

فليكن لك وسط الصالحين صحبة.. وبين القائمين قدم.. ومع الطائعين قلب..

ومع القرآن روح.. ومع الذكر سبحات.. وفى خدمة الإسلام بصمات..

فتحرك وانهض لتكن لبنة فى الصرح ..

وأقرع لأبواب السماء:

« اللهم اجعل فى قلوبنا نورًا نهتدى به إليك.. وتولنا بحسن رعايتك حتى نتوكل عليك.. وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك..

اللهم: اشفِ بكلماتى القلوب القاسية.. واستجمع بحروفى الأبدان التائهة.. والتقط بعباراتى الأرواح الشاردة.. وأذب بسطورى العيون الجامدة..

اللهم: نزِّه قلوبنا عن التعلق بمن هو دونك.. واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك..

إلهي: يا من ترى مكاننا وتسمع كلامنا ولا يخفى عليك شىء من أمرنا.. طهِّر دنس القلوب، ونقِّ وهج الصدور، واشفِ علل النفوس..

يا رجائي: أنعم على قارئ الكتاب وحامله وكاتبه بقلب يعرفك ويعبدك ويحبك.. وكافئنا بمقعد صدق عند مليك مقتدر».

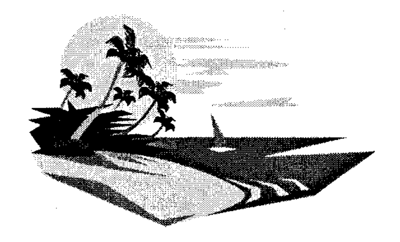
أخوكم

الملتمس رضاء ربه

شريف شحاتة

www.sherifshehata.net

***



رحـــلة.....!!!!

كان يا ما كان في يوم من الأيام..

هناك رجل مصطحب أسرته الجميلة من زوجة وأولاد في رحلة ماتعة ورائعة.. وقبل انطلاقهم أعدوا عدة الطعام والشراب.. وبدأت الرحلة طريقها معهم..

وأثناء طريقهم قابلهم صندوق جميل ووجدوا به المال حتى صار سؤال الأب:

هل نحن بحاجة إلى هذا المال؟!

فألحقوه القول: بالتأكيد فهو مصدر فرحتنا وسعادتنا وغنانا.. فنشتري ما نحب ونحصل على ما نأمل، ونجنى ما نريد ونلبس ما نتمنى، ونحصل على ما نشتهي.. وبالفعل تم التهام المال..

ثم بعد فترة وجيزة من دوران إطارات السيارة..

إذ بتاج مزين جميل وهو الشهرة وعليه الأضواء البراقة من كل حدب وصوب ،،

هنا نضح السؤال: هل نحن بحاجة إلى **الشهرة**؟!

فكان الجواب: وهل نعيش كعامة الناس غير معروفين وغير مشهورين.. بالتأكيد سنحتاج إلى الشهرة كي يعرفنا البشر ويشيرون إلينا بأصابع الإعجاب.. فسعد الأب والزوجة الأولاد..

وما بدأت حركة السيارة من جديد إذ بالشهوة تلوح أمام أعينهم.. فنظر بعضهم إلى بعض ومن غير أن تحار العيون أو تتعجب.. كان الإجماع: مال وشهرة مع شهوة إن هذا من أروع النعيم..

ثم بحث كل واحد منهم عن ما يبقى من متعة وفرحة فلم يروا إلا الصحبة واقفة.. فأخذوها في طريقهم.. ومن هنا..

رسمت الحياة لهم ما يتمنون من مال وشهرة وصحبة وشهوة..

وعلى غير المتوقع إشارات حمراء تقول:

(Stop)

هنا كمين..

فتوقف الرجل بسيارته والزوجة والأولاد.. والمفاجأة شرطى أسرع إلى السيارة وطلب رخصة الرجل فأعطاه إياها.. ثم سألهم هل قابلكم أحد في الطريق:

نعم.. قابلنا المال والشهرة والصحبة والشهوة..

فقال الشرطي: أما قابلكم غيرهم؟!..

قالوا: نعم قابلنا الدين ولكننا قلنا: بعد قليل سنأخذه معنا.. لا نحب أن نحمل الهم، والدين سوف يضيق علينا حياتنا!!!

وعلى حسب فهمهم أن الدين لن يكون شيئًا ممتعًا بالنسبة إليهم؟!!

أما مالهم وشهرتهم ومناصبهم وشهوتهم هى مصادر سعادتهم..

فقال الشرطي: للأسف لن تمروا حتى يكون الدين معكم..

فأخرج الرجل من محفظته صورة لابنته المحجبة.. وأخرج من السيارة مصحفًا يزين التابلوه، وتابع استخراجه لسجادة صلاة من حقيبة السيارة يستعملها فقط إذا انفجر الإطار!..

فقال الشرطي: أنا لا أريد صورة ولكني أريد عملًا ومضمونًا..

فقال الرجل بابتسامة بسيطة: من السهل أن أرجع للخلف قليلًا وأحضر الدين معي..

ولكن القانون يقول:

« ممنوع الرجوع للخلف.. تقدم للأمام »

وقال الشرطى: للأسف يا سيدى لن تستطيع ركوب سيارتك فقد انتهت صلاحية رخصتك..

ونزل الأب مع الشرطى.. والزوجة والأولاد فى حيرة وفى حزن..

ثم تكلم الشرطي مع الزوجة والأولاد قليلًا.. والأب ينتظر ما الحل؟!

فقد انتهت صلاحية الرخصة ولن أستطيع القيادة..

وما هو إلا قليل..

حتى جلست الزوجة على عجلة بدلًا من زوجها في السيارة؛ وقادت السيارة ومعها أولادها مكملة رحلتها ورحلتهم!!!.. والزوج واقف في ذهول!!..

وهو ينظر إلى سيارته وزوجته وأولاده وهم يختفون من أمام ناظريه.. ولم يتفكر في حاله هذا من قبل. حتى سمع صوتًا يردده آخرون تم احتجازهم في الكمين:

﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾..

وحينها فقط انتبه صاحبنا..

ولكن:

حين لا ينفع الانتباه

ولا يفيـــد الندم

ولا تصـح الرجعة

ولا تتـاح الفرصة

فيا ترى يا شباب:

هل عرفتم الرحلة والكمين والشرطى

.. والرخصة لماذا انتهت؟!





الرحلة الأولى

اعرف ربنا

ضربة البداية

يا صاحبي:

إن الواحد منا يشتبك فى إصبعه خيط أو بواقى طعام يظل مشغولًا به متذكرًا إياه..

حتى يفك هذا الخيط أو يزيل تلك البواقى..

وهل فى جسدك من عرق أو شعرة أو ذرة أو نقطة إلا وهى تذكر الخالق وتسبحه!!..

فما هذا النسيان البارد الجاف منك مع ربك الذى خلقك وكرمك؟!..

تبيع نفسك إليه ثم تماطل فى التسليم!!

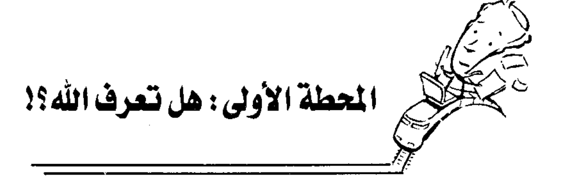
والعجيب أنك لا تفسخ العقد.. ولا تمضى البيع!!..

تدعى الرحلة إلى ربك وشد الرحال إليه..

أما حالك وزادك وأفكارك لا تقول ذلك..

أما آن الأوان أن تعرف ربك..

يا صاحب العقل والفهم والكلام؟!!!!!



المحطة الأولى: هل تعرف الله؟!

سؤال مهم؟!

سؤال يطرق الآذان: يااااااا أنت؟! هل تعرف الله؟!!

فيكون الرد الفورى: وهل مثلي لا يعرف الله؟!! بالطبع أعرفه جيدًا..

وهنا تكون الإجابة باللسان ونظرة واحدة على الحال.. تجد من هو بالجواب ناطق.. والآخر هامس.. والثالث وكأنك لم تسأله.. والرابع هو فى وادٍ وأنت فى وادٍ..

ولكن أقف لأخبرك:

قبل أن تمضى أيامك.. وتذهب صحتك.. وينقرض شبابك.. إنه سؤال يحتاج من أول وهلة إلى النظرة الدقيقة الفاحصة التي تقول للقلب والعقل والحال معًا:

هل أعرف الله؟! هل عقلى يعرف الله؟

هل يدي تعرف الله؟ هل قدمي تعرف الله؟

هل يومي يعرف الله؟

هل حياتي تعرف الله؟

هل شبابي يعرف الله؟

هناك من تكون إجابته حاضرة.. ولكن إذا فتشت في جعبته لم ترَ دليلًا ولا برهأنا..

وهناك من يثبت لك بكلامه وبسلوكه وبعمله أنه حقًّا شاب يعرف الله بل وحق المعرفة.

منهج نبوي رائع:

حين أرسل الحبيب معاذ بن جبل إلى أهل اليمن كانت الرسالة واضحة المعالم ومفندة

الأولويات فقال له: «يا معاذ إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم»(١).

هل لاحظت:

فإذا عرفوا الله؟

نعم: معرفة الله.. التي نسيناها وانشغلنا بأنفسنا وأولادنا وأعمالنا وأصدقائنا وحياتنا عن معرفة أغلى وأثمن شيء في حياتنا وهو: معرفة الله عز وجل..

وحقًّا لو عرفنا ربنا حق المعرفة لكان الحال غير الحال.. ولصارت الحياة بشكلها متغيرة لما هو أفضل؛ ولأصبحت لأيامنا أهداف؛ ولقلوبنا إحساس بالنعمة؛ وتسليم لقضاء الله وقدره.. أما من هو مغيب في غيابات الغفلة والدنيا والصحبة السيئة والشهوة الفانية والمنصب الزائل والمال الذي عما قريب سينتهي ويتركه لغيره.. فكيف يعرف الله؟!

ما أخبار بضاعتك؟

يا سادة: البضاعة التى لا تكسد عند صاحبها.. بل يزداد سعرها ويرتفع ثمنها.. هى: معرفة الله عز وجل.. وكما قال أهل العلم: «لا عبادة بدون معرفة».. لذا هى بضاعة لا تكسد لأن عبادتك تكون مقبولة؛ وبها روح الخشوع واضحة؛وجمال الوقوف بين يدى الله يشتاقه قلبك.. من صلاة إلى صلاة ومن حسنة إلى حسنة.. لأنك عرفت من تعبده.. فكان الخشوع ودوام مراقبته والتذلل إليه وتحرى الحلال وطرد الحرام هو حال قلبك ولسانك وحالك..

طريقان لمعرفة الله:

أرسل ابن القيم كلامه بأسلوبه المميز: «الرب تعالى يدعو عباده في القرآن الكريم إلى معرفته من طريقين: أحدهما: النظر فى مفعولاته، والثاني: التفكر في آياته وتدبرها»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) الإحياء: ١/ ١٠٥.

النظر في مفعولاته:

يعطيني ثم يمنعني.. يمرضني ثم يشفيني.. يعسر لي أمورًا وييسرها لي.. يفعل معي ذلك كي لا ألتجئ إلا إليه.. ولا أطرق إلا بابه.. وألا أقبل إلا على رحابه.. يصفيني من حبي للمال والدنيا والشهوة كي أكون له وحده.. هذا فعله معك ومعي..

التفكر في آياته وتدبرها:

حين تقرأ آيات ربك فينسدل على القلب التدبر ويتحرك العقل بالتأمل.. لتخرج حروف ترتبت على طرف اللسان، وحين تتكون الكلمات تكون «سبحان الله».. وهذا حالك أخي وأختي مع القرآن.. تعيش آياته ويسري في عروقك.. فيبدأ القرآن يظهر على قسمات وجهك ونبرات صوتك وإشارات عينك وردود فعلك.. كل آية تقربك من الله خطوات وتلغي خطوات في معصيته.. كل جزء يقطع مسافة بقلبك إلى حب ربك ويصفي تمكن الدنيا من نفسك.. كل ختمة قرآن تزين لك صحيفتك وتحلي لك أخلاقك، وتلبس تاج البركة والقبول على حياتك..

تحتاج إلى نظرة عابرة إلى الكون والسحاب والأمطار والأنهار.. وحركة الأرض وشروق الشمس وغروبها.. كل في فلك يسبحون..

وهذا ما دفع هرم بن حيان ليعلنها: «المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه؛ وإذا أحبه أقبل عليه».

والشافعي على السؤال يجيب:

حين سئل الشافعي: كيف عرفت الله؟..

فقال: «انظر إلى الشجرة؛ تأكل منها دودة القز فتخرج حريرًا، وتأكل منها البهائم فتخرج روثًا، وتأكل منها النحلة فتخرج لنا عسلًا، فسبحان من وحد المصدر (الشجرة) وعدَّد المخارج (الحرير والروث والعسل)!!!! »..

نعم ولم لا؟!

يا صاحبي:

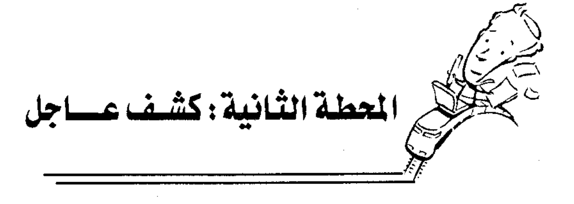
هل فكرت في نفسك ذات مرة؟!
هل تدبرت في أمور حياتك؟!
هل تأملت يومًا في النعم التي تغمرك
كالسيل في كل وقت وكل حين؟!

وصدق ابن الجوزي حين اصطاد إحدي خواطره فأخبرنا: «ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عيشًا من العارفين بالله تعالى؛ فإن العارف مستأنس به في خلوته، فإن عمت نعمة علم من أهداها، وإن مر حلا مذاقه في فيه لمعرفته بالمبتلي؛ وإن سأل فتعوق مقصوده صار مراده ما جرى به القدر، علمًا منه بالمصلحة بعد يقينه بالحكمة وثقته بحسن التدبير»(١).

* * *

---

(١) صيد الخاطر.



المحطة الثانية: كشف عــاجل

احجز تذكرة:

يا صديقى: ماذا لو أجرينا أشعة ربانية على قلبك؟! من خلالها يظهر التقرير وتخبرنا النتائج.. وترسم لك ربانية قلبك..

هل يصلح الآن إجراء هذا الكشف أم نمهلك أيامًا أم شهورًا أم دهورًا لتستعدل قلبك وتستصلح حالك..

واختر إجابتك: هل هو رباني؟ أم قاسى؟ أم شهواني؟ أم مادى؟ أم حاقد؟ أم جاحد؟ أم شاكر؟ أم رحيم؟ أم تائب؟ أم......؟؟؟!!!

وما قدر الله ومكانته في قلبك؟؟..

يا صاحب القلب الرباني:

الذى يضيء بنور الله ولا يري إلا ما يرضي الله.. فالدنيا بزخارفها ومتعها وأموالها وموضتها لن تهيمن عليَّ فتسود صحيفتى.. ولن أكون فريسة مثل من لا يبصر إلا شهوته، ولا يسمع إلا صوت ما يشغله عن ربه.. ولا يلتفت إلا إلى صحبة تحمل له المخدرات والكيف بحجة: انس الدنيا وعش حياتك؟!!

القاعدة تقول:

«لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة.. إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا؛ ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة؛ ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر»[1].

وعالم لا نعرفه !!!

نظرة سريعة على عالم الحشرات.. أنظرت للنمل وكيف يعيش؟! وكيف يتفاعل مع

---

(١) أبو حامد الغزالي.

الظروف من برودة وحرارة؟!.. هل تأملت حال الطيور التى تبيت في عشها وليس عندها لقمة واحدة، بل تغدو صباحًا خماصًا جياعًا وتعود بطانًا شبعى.. إنه رزق الله..

عالم الفلك:

هل تأملت عالم الفلك من مجرات وكواكب ومن لهيب الشمس وحرارتها؟!.. والقمر ودورانه حول الأرض؟!.. هل فهمت شيئًا عن عالم البراكين والزلازل؟!... أم عرفت معلومة عن عالم السحاب والمطر؟!.. ياألله.. إنه عالم وعالم وعالم.. وصدق الله حين قال في كتابه وعلمنا آية فقرأناها سبع عشرة مرة في الفرائض اليومية «الحمد لله رب العالمين».. رب العالمين...

وكأني أشعر بك تأخذ نفسك متنهدًا.. حقًا.. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

اختبار حقيقي:

هب أنك أحضرت مسجلًا (recorder) ثم ذهبت به إلى أحد الأشخاص القليلى الثقافة، وسجلت له كلامه طيلة أسبوع كامل.. وبعد أن حذفت الكلام المكرر وغير المهم صارت كلماته لا تتعدى (١٠٠ كلمة)..

وآخر مثقف وسجلت له أسبوعًا كاملًا؛ ومعه حذف الكلام المكرر وغير المهم رأيت عدد الكلمات (١٠٠٠ كلمة)..

ففي النهاية الكل تكلم..

والكل قضى أسبوعًا.. ولكن الفرق واضح والاختبار حقيقي.. كم كلمة فيها (الله) قالها هذا أو ذاك.

اختبر حالك الآن..؟! سل نفسك الآن كم كلمة فيها (الله) مثل «الحمد لله؛ بإذن الله؛ ما شاء الله؛ سبحان الله؛ لا إله إلا الله»..

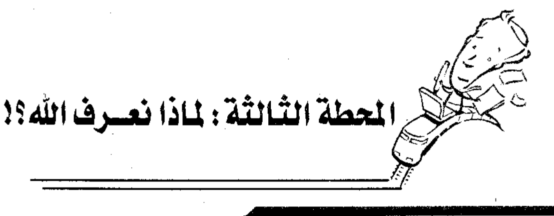
كم كلمة قلتها اليوم؟!
هل تستطيع أن تحصي العدد؟!

هل تستطيع أن تقارن كم كلمة بها «الله» وكم كلمة بها «مال أو شهوة أو مباراة أو Chat أو موبايل أو فيلم أو مسلسل هكذا».. نعم.. هل عرفت مدى تقصيرك مع ربك.. ومدى حلمه عليك ورحمته بك.. وهل تنسب الفضل في عملك أو أفكارك لذكائك ومهاراتك وموهبتك؟ أم تنسبها لخالقها بأنه فضل الله وحده؟ أم يكون لسان الحال نعم خبرتي..علمي.. موهبتي.. قدراتي؟

فيا صاحبي:

كن عبد الله.. معترفًا بتقصيره.. معترفًا بفضل ربه وخالقه.. والمؤمن دومًا ينسب النعمة إلى المنعم.

❊ ❊ ❊



المحطة الثالثة: لماذا نعرف الله؟!

١- تحقيق قانون (إياك نعبد)..

إذا سبحنا قليلًا في معنى كلمة «الرب» فقال أهل العلم: «الرب هو: المالك والسيد والمنعم والمربي وأقرب المعاني هو» المربي «فالله مدبر مربٍّ لخلقه»..

ومن ثم حين تردد «الحمد لله رب العالمين» فهذا هو «الثناء المطلق» وأنت بين نعم ثلاث:

١- نعمة الإيجاد:

.. فالله عز وجل هو الذى أوجدك.. وهو الذى خلقك.. وليس غيره خالق، وليس غيره موجد، وليس غيره مدبر.. وهذا ما يسميه علماء العقيدة «توحيد الربوبية».. بمعنى أن الرب -عز وجل- المالك والسيد والخالق والرازق والمدبر واحد لا شريك له، وليس لنا غيره يرزق أو يخلق فكل نعمة هو موجدها وخالقها ورازقها..

٢- نعمة الإمداد:

بما أن الله خلقك وأوجدك فمنَّ عليك بنعمة الإمداد.. يمدك بما تحتاج من طعام أو شراب.. ويمد أعضاءك بما تحتاج من دم وفيتامينات وهكذا.. وأمدك بالهواء الذى تتنفسه وتستنشقه.. وحين يقطع الله -عز وجل- نعمة الإمداد عنك يموت الإنسان.. فمثلًا (نفس أخرجته ولم يأذن الله لك أن تخرجه أو تستنشق غيره فينقطع النفس؛ لأن نعمة الإمداد توقفت وحينها يموت الإنسان)..

٣- نعمة الهدي والإرشاد:

يهديك لما فيه صلاحك ونجاتك.. فيأخذ بيديك ويصلح شأنك ويرشدك لما فيه الخير.. ما لم يتعمد الواحد منا معصيته ويشترى القليل من المعاصى أو الشهوات، ويبيع

صلته بالله، وهنا أذكرك بفتية أهل الكهف.. ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

القاعدة المهمة:

تقول لك: «منتهى العلم التوحيد، ومنتهى العمل التقوى» فأعلى مراتب العلم أن يصح توحيدك لله عز وجل وأن تعرف أن كل صغيرة كانت أو كبيرة محض فضل من الله وحده عليك ومن تدبيره ومن خلقه، فيزداد استسلامك له وانطراحك على باب عبوديته.. ومهما كثر عملك فالعبرة فيه ليس بالكم بل بالكيف وترعرع التقوى فى قلبك..

وهذا نبى الله إبراهيم:

ولما كملت معرفة إبراهيم عليه السلام بالله -عز وجل- وتحقيق «إياك نعبد» فاسمع ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

ذلك هو التحرر من كل شيء سوى الله -عز وجل- وتذكر نداء امرأة عمران ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾.

محررًا: من ملابسات الطين ونزوات الهوى وكمائن الشهوات..

محررًا: من كل جواذب الأرض التى تجر للفساد والضياع..

محررًا: من صحبة سيئة تودى بك إلى المهالك..

محررًا: من كل حرام يدخل الجسد، فيكون العلاج أن يشوى على نار جهنم كى يتطهر اللحم من الخبث..

محررًا: فليس له من نفسه نصيب إلا عبادته لله وحده...

محررًا: من كل عرف وتقاليد لا تتماشى مع سنة الحبيب المصطفى ﷺ..

هل نعرف أهل المصاب؟!!..

ذات يوم حينما حدث اصطدام شديد.. وكانت حادثة سيارة مروعة.. وهرول الناس

مسرعين، وتجمع الناس حول المصاب فقال أحدهم: أما لهذا المصاب من أهل؟!

فلم يرد أحدًا..

وكان واقفًا شيخ فاهم واعٍ فكان رده ورأيه: «إن لم يكن له أب أما له رب!!»..

رب كل شيء..

آية ترسم لك الصورة كاملة واضحة: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

نعم: إنه الاستغراق وعمق المعنى.. (رب كل شيء).. ومن معانى الرب أيضًا أنه الملك المُلك التام.. ولكي تستوعب صاحبى قدر رب كل شيء لديك فانظر:

ماذا لو أعطاك أحد الأثرياء شيكًا.. وقيل لك: اكتب فيه ما تشاء من أرقام فأنت تملك الآن دنيا كثيرة فمهما كانت قيمة الشيك.. ومما غلا سعره.. وزاد عدده.. فسوف يفنى وينتهي.. لأن ما تتحصل منه على ما تريد وتظن أنك ملكت به جنبات الأرض.. لا بد أن تعلم أن هذا المال وتلك الشهوات هى من وشائج الأرض وجواذب الطين وحظوظ الحياة.. التى كتب عليها الفناء والعدم..

أما من كان الله معه!!!

تقرير الصديق:

وهذا أبو بكر الصديق يرسم الصورة ويقرر «ما ندمت على شيء فاتني من الدنيا قط».. وذلك لأن الله حسبه.. وهذا هو منهاج المسلم الذى يعيش به ويحيا عليه.. وبهذا يتوجه العبد بوجهه إلى الذى فطر السماء والأرض.. ومن كان الله حسبه كفاه أمر الدنيا كلها بل والآخرة معها.. فيعيش العبد على طهارة الروح وصفاء القلوب وخير العمل.. أعطني أذني قلبك واسمع: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان: ٢٠].

وهو مبدأ النجاة:

ألا تذكر يا صاحبى حين أدرك فرعون وجنوده سيدنا موسى وقومه الذين وحدوا

ربهم وصدقوا في عبادته.. وخلال لحظات ستظهر نتيجة هذا الصدق من عدمه؟ وأنت صاحبي كذلك انظر إلى حالك وقت الشدة ووقت الأزمة من ينجيك ويحميك؟! أقف لأقول لك انظر إلى قوم موسى أي الطريق سلكوا؟ وأي الشعب أخذوا؟ وما هو إلا قليل حتى قال قوم موسى: ﴿أنا لَمُدْرَكُونَ﴾ فكان الرد: ﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

مفاهيم مهمة جداً..

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾.. قال ابن القيم: «لا اله إلا الله: هي كلمة التوحيد والإيمان والإحسان كله جمع في هذه الكلمة».

المعنى الأول [أَلَهَ]:

تعني (عَبَدَ) الإله المعبود.. وليس العبد من يطيع فقط بل العبادة مبنية قواعدها على (الطاعة والمحبة)..

ويمكننا الآن أن نكتب القاعدة: (غاية الحب مع غاية الطاعة هي العبادة الحقيقية)..

المعنى الثاني [أَلِهَ]:

أي: لجئ إليه.. فلا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه ﴿فَفِرُّوا إلى اللهِ﴾.

المعنى الثالث [أَلِهَ]:

بمعني: تحير.. والإنسان يتحير من الكبير أم من الصغير؟ يتحير من العظيم أم من الحقير؟.. نعم أنا وأنت نتحير من الكبير والعظيم، وهذا معني مهم أنك تحتار من قدرته وعظمته لذلك قالوا: «عظمة الله تحار منها العقول»..

وحقيقة نسلم بها:

قال ابن عباس: «لا إله يرجى فضله، ولا إله يخاف عدله، ولا إله يؤمن جوره، ولا إله يؤكل رزقه، ولا إله يترك أمره، ولا إله يسأل مغفرته، ولا إله يرتكب نهيه، ولا إله يحرم فضله، إلا الله رب المؤمنين وغفار ذنوب المؤمنين، وملجأ المؤمنين، وستار المخطئين، وغاية رجاء الراجين، ومنتهى قصد العارفين».

تأكد من صدقك..

صديقي: مهم جدًّا أن تستفسر عن حالك إذا كان هناك شعور عندك بأن هناك جهة في الأرض بإمكانها أن تنفعك أو تضرك.. إذا وجدت هذا الخلل فلديك مشكلة أنك لن تستطيع أن تعبد الله وحده.. وإذا كان هذا من القلق والخوف أو ضعف الإيمان فطمأنك الله -عز وجل- أن الأمر كله عائد إليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. فكل شيء من عند الله وليس من عند البشر ولن تنفعك صحبتك أو شهوتك أو زوجتك أو ثروتك، لن ينفعك إلا (الله)، فكن عبدًا لله كما يجب يكن لك كما تحب..

٢- تحقيق قانون (إياك نستعين):

كم تعبد اليوم إلهًا؟!

عن عمران بن حصين قال النبي ﷺ لأبي حصين: «كم تعبد اليوم إلهًا؟» قال أبي: سبعة: ستة في الأرض وواحدًا في السماء؛ قال: فأيهم تعبد لرغبتك ورهبتك؟! قال: الذي في السماء.. قال: يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك.. قال: فلما أسلم حصين قال يا رسول الله: علمنى الكلمتين اللتين وعدتنى.. فقال: قل اللهم ألهمنى رشدى وأعذني شر نفسي»[١].

فيا أنت:

- بمن تستعين؟ ومن تحتاج؟
- من تستقر طمأنينة قلبك على بابه؟
- من تستريح على عتبة بابه؟
- من تحسن به الظن أنه لن يخذلك؟!

---

(١) رواه الترمذي وضعفه الألباني.

ودرس يجب مذاكرته:

وها هو يزيد بن معاوية أحد خلفاء بني أمية يرسل لوالى البصرة بأمر حرام يأمر به الناس ويفرضه على الشعب.. فيسأل الحسن البصري فى هذا فيرد عليه:

«اعلم أن الله يمنعك يزيد؛ ولكن يزيد لا يمنعك من الله»..

- وهذا هو منتهى التوحيد والمعرفة..
- فهل ترى في حياتك اليومية أشخاصًا تظن أنهم آلهة؟!!!!
- وهم من يستحقون السمع والطاعة والعبادة؟!!!
- لا تستعجب من السؤال!!!..

وتخلص الآن من كل شخص تظن أنه يضر أو ينفع، أو يمرض أو يشفي، أو يحيى أو يميت؛ لأنه الله وحده.. وتعال نمر عبورًا بسورة البقرة..

أنا أحيي وأميت!!!!

يا شباب: تعالوا بنا نسمع حوار إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾

[البقرة: ٢٥٨]..

لا أقول إنها المناظرة بل الضربة القاضية إلى من ادعى القدرة على الخلق والإيجاد، والحياة والإعدام، وحين طلب إبراهيم منه الدليل فلم يستطع، فكان الطلب بأن يأتيَ بالشمس من المغرب بدلًا من المشرق، فلم نسمع إلى الآن جوابه؛ لأن ذلك لله وحده لا ينازعه في ذلك أحد من خلقه.. وكان ملخص هذا العناد والتحدى من النمرود إلى إبراهيم ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ .

٣- اصنع لك رصيداً عند الله:

إنها الحياة!!

الحياة بها مشكلات وابتلاءات وصعوبات تحتاج رصيدًا إيمانيًّا ينفع في الأزمات كما تستلزم مالًا ينفع وقت الضيق وتحتاج أصحابًا عند الشدة.. كذلك لا ننسى وقت الضيق أو زمن الكرب أو يوم الشدة أو أسبوع الهم أو ساعة المرض، أن النافع والميسر والمعين هو الله وحده لا شريك له وحسب.. وهذا هو السمت الهادئ والتسليم المطلق..

رصيد بحاجة للزيادة..

صاحبي: إذا كان عندك رصيد عند الله فاطمأن وافرح.. وإذا أوشك على النفاد برجاء إعادة الشحن بالطاعة والعبادة والذكر والاستغفار وإصلاح الخلق وإعادة تشغيل القلب.. وانظر لنموذج مثل فرعون.. حين اقترب من البحر وظن أن بيديه أوراقًا رابحة مثل المركز القوى، والمال الذي ينقذ، والأتباع الذين يعينون، والصحبة التي تنفع..

وحينما لم تنفع أوراقه الرابحة، وأحس بذهاب عمره ونهاية حياته والفصل الاخير من قصته دُوِّن وينتظر الغلق.. صغر المال وضاعت الأتباع واستحقر المنصب فأعلنها كما قال القرآن: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠].

(آمنت).. آه.. ثم آه..

الآن آمنت.. الآن فهمت.. الآن استوعبت.. الآن عقلت.. الآن آمنت..

هل رصيدك هو رصيد فرعون؟!!!!!!

وهذا حال بعض الشباب.. يظن أنه فى حال المرض أو حين يأتيه ملك الموت سوف ينال المهلة التى تسنح له بأن يستغفر أو يتوب أو يقوم فيصلى ركعتين.. وهذه سوف تلبس حجابها وتخشع فى صلاتها.. وهذا سيحذف من تليفونه المحمول أرقام بنات لا تحل له.. وهذا سيكسر زجاجة الخمر.. وهذا سينقى دمه من المخدرات.. ولكن لا يستأخرون

ساعة ولا يستقدمون...

فطالما عند الضيق والشدة والمرض والموت لا ترى (إلا الله)..

فلم لا يكون هذا حالك؟! وتلك حياتك.. حتى تعيش بإيمانك وبعلاقتك بالله فى طمأنينة لا تخدشها حيرة ويقين لا يساوره شك.. وثبات لا ينافيه تراجع، وتردد عن عبادة الرحمن وعداوة الشيطان..

اعرف هذه الحقيقة..

« تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة »..

فرعون رغمًا عن ذلك يضاف إليه أنه سيئ الأدب مع الله: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ ولم يقل «آمنت بالله» نعم: لأن كلمة (الله) لها قيمتها ومكانتها وقدرها والمحروم من حرم من الله..

أم رصيدك هو رصيد يونس؟!!!!!!

أما يونس حين التهمه الحوت.. وغرق فى ظلمات ثلاث.. ظلمة بطن الحوت.. وظلمة البحر.. وظلمة الليل.. فأصبحت الرؤية البصرية منعدمة.. أما الرؤية الربانية كانت (٦/ ٦) إن صح التعبير... استجاب له ربه وأنقذه ونجاه.. والسبب أن يونس لديه رصيد، أما فرعون فكان لا رصيد له.. وهذا كان رصيد فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤].

أما رصيد يونس: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. لذا قُبل من يونس ولم يُقبل من فرعون لأن يونس عرف الله قبل الشدة: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فقبلت منه ولم تقبل من فرعون!!.. فكان الجواب: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ».

فهل عرفت يا صديقى رصيدك؟!..

وهؤلاء رصيدهم هو:

صحبتي.. مالى.. موضة.. مواقع إباحية.. مسلسلات.. أفلام.. كليبات.. مصاحبة البنات.. المخدرات.

وهؤلاء رصيدهم هو:

صلاة.. صيام.. قرآن.. ذكر.. إتقان.. بر.. رحمة.. صدق.. حب الخير للناس.. مساعدة الفقراء.. بر أبى وأمى..؟!

فابحث عن رصيدك قبل أن ينفذ!

واهرب من هؤلاء:

ولا تكن عبدًا إلا له رصيد عند ربه.. وتذكر هذه الآية: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي عصى الله من أجل أنه يحب صاحبه أو هى تحب الموضة، وهذا يحب كذا وهي تحب كذا.. فصار الإله هواه وليس الإله هو الله.. راجع حساباتك.. وافهم أمورك كيف تسير يا صاحب التفكير.

مؤشر القلب:

يا مسكين : إذا وقعت في شدة.. مستوى إيمانك وقدر الله في قلبك هو مؤشر لثباتك وصبرك ونجاتك.. ورصيدك عند الله هو المعين والمنقذ بفضله وحوله وقوته.. وشتان بين من يضطر للإيمان بالله.. وشتان بين من يؤمن بالله طواعية ومحبة.. لذا قال بعض العلماء فى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. قالوا: «الطاعات كلها يرفعها الملك إلى الله أما (لا إله إلا الله) تصعد لوحدها».

فيا أنت:

تكاثفت ذنوبك بعضها يركب بعضًا.. وتعاظمت العيوب فملأت الأرض طولًا وعرضًا.. اسمع منى..

كم قد جنيت من أيامك؟ كم قد ملأت كتابك؟ كم من مرة تتوب فتعود.. ثم لا نرى لقدمك أثرًا فى العودة إلى التوبة.. ألم تشتاق إلينا؟!

٤- الاستســـــلام لله:

خذ هذه !!

قال الله عز وجل: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].. وقال أهل التفسير: «إنها عظمة قدرته وكمالها وأنه لا يمكن أن يتصورها العقل فقال: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهذا شيء يحير العقول، إن خلق جميع الخلق - على كثرتهم وبعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لمحة واحدة - كخلقه نفسًا واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور، والجزاء على الأعمال، إلا الجهل بعظمة اللهّ وقوة قدرته؛ ثم ذكر عموم سمعه لجميع المسموعات، وبصره لجميع المبصرات فقال ﴿إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[1].

وخذ هذه !!

قال ﷺ: «ليحاسبن الله خلقه مرة واحدة» قالوا: يا رسول الله كيف يحاسب الله عباده في وقت واحد؛ قال: «كما رزقهم في وقت واحد يحاسبهم في وقت واحد»..

فاستسلم لله في عملك وصلاتك وحجابك وأخلاقك، وسلم قلبك لله، ولا تظن أن أحدًا سينفعك أو سيقهرك أو سيغلبك، بل استسلم لله واطمأن لسلامة قلبك في عبوديته..

يا سادة: جدوا فى انطلاقكم لعبودية ربكم.. سبقكم القوم باستسلامهم لربهم.. وامتثلوا أمره فزاد إليه اشتياقهم.. وعلموا أن الآخرة قادمة فأحسنوا أخلاقهم..

أتدرى ما الذى حبسك عن لحاقهم؟!!!!!!

النبي يعلمك كلمات:

تذكر كلام الحبيب ﷺ: «عن أبي العباس عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال:

---

(١) انظر أكثر من تفسير.

كنت خلف النبي ﷺ يومًا، فقال لي: «يا غلام إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف»[1].

احفظ.. يحفظك:

احفظ أوامره وامتثلها، وانتهِ عن نواهيه وتجنبها، يحفظك في تقلباتك وحركاتك وحياتك؛ فإذا حفظت الله فى كل ما لديك فإنه موقف الاستعلاء على الدنيا وزينتها والاستسلام لرب الدنيا وخالقها.. فترى أن نفسك وديعة من الله عندك، مطلوب منك الحفاظ عليها وتسليمها سليمة مؤمنة عابدة.. اذبح اليأس بسكين الأمل واليقين فى الله.. اقطع بسكينك أحبال الشهوة والهوى وصل أحبال الإيمان.. اضرب بفأسك أرض قلبك القاسية وابذر الخير وانثر الإيمان، واستعن بالقرآن فهو خير دليل وأحسن زاد وأجمل ثمرة..

وكي تستسلم أكثر:

فافتح النتيجة (دليل التقويم السنوى) المعلقة في بيتك ومكتبتك.. وانظر إلى يومنا هذا وتاريخه.. ثم انظر لنفس اليوم منذ عشرين سنة.. ونفس اليوم منذ عشر سنوات.. ونفس اليوم منذ سنتين.. ونفس اليوم هذا العام، وانظر لمواعيد (شروق الشمس) تجدها كلها واحدة أو متقاربة بدقيقة أو دقيقتين.. ذلك لتعلم أن الله بيده ملكوت كل شيء.. يسيطر ويتحكم ويهيمن على هذا الكون ويحميه..

استفهامات ربانية..

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك: ٢٠].

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: ٢١].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى عن عبد الله بن عباس، وانظر صحيح الترمذي للألباني رقم ٢٥١٦.

﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

هل عرفت؟ هل استسلمت؟ هل أطمأننت؟

فسبحان الله.. الذي دبر كل هذا! وأمد كل هذا!

فيا شباب:

استغفروا الله خجلًا من العثرات..

وجددوا توبتكم من حصاد السيئات..

عجبًا لشاب يؤثر الفانية على الباقية! ومالك بحر يبيعه بساقية! ومحب الأمراض على العافية!

أيها المستوطن.. بيت غرورك عما قريب ستتركه..

أيها الساكن.. منزل هواك اليوم ستغادره..

أيها الشارد..

آن الآوان.. وجاءت الفرصة.. ولاحت التوبة..

فهل من مستغفر؟ وهل من داعٍ؟ وهل من تائب؟

٥- طـــوق النجـاة:

وأنا أحب أن أقرأها..

عن عائشة -رضي الله عنها- بعث النبي ﷺ رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختتم بـ «قل هو الله أحد»، فلما رجعوا هكذا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع هذا» قال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأها ».. فقال ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[(١)].

يا شباب: كم واحدًا منا الآن يقول: وأنا أحب أن أقرأها؟!!!

الآن رددها ..

(١) صحيح: رواه البخارى عن عائشة، انظر صحيح البخاري رقم: ٧٣٧٥.

جولة فضائل وكنوز:

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا [أي يراها قليلة] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[١].
- عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) فقال: «إن حبك إياها يدخلك الجنة »[٢].
- قال رسول الله ﷺ: «من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة»[٣].
- عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا، قال: فأدركته فقال: «قل» فلم أقل شيئا ثم قال: «قل» فلم أقل شيئا قال: قل فقلت ما أقول، قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»[٤].
- عن أبي هريرة قال: أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلًا يقرأ: (قل هو الله أحد الله الصمد) فقال رسول الله ﷺ : (وجبت) قلت: وما وجبت؟ قال: الجنة»[٥].
- قال رسول الله ﷺ: «يا عقبة ألا أعلمك سورًا ما أنزلت في التوراة ولا في الزبور و لا في الإنجيل و لا في الفرقان مثلهن، لا يأتين عليك إلا قرأتهن فيها، (قل هوالله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس)»[٦].

---

(١) صحيح: رواه البخارى عن أبى سعيد الخدري، انظر صحيح البخاري رقم: ٦٦٤٣.
(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني: ٢٣٢٣.
(٣) حسن: من حديث معاذ بن أنس الجهنى، انظر السلسلة الصحيحة للألبانى رقم: ٥٨٩.
(٤) حسن: رواه الترمذى عن عبد الله بن خبيب، انظر صحيح الترمذي للألبانى رقم: ٣٥٧٥.
(٥) صحيح: رواه الترمذي وصححه الألباني، انظر حديث رقم: ٢٣٢٠.
(٦) صحيح: من حديث عقبة بن عامر، انظر السلسلة الصحيحة للألبانى رقم: ٢٨٦١.

وبلغة الأرقام:

القرآن أكثر من ٣٠٠٠٠٠ (ثلاثمائة ألف حرف)...

وثلث القرآن يساوي ١٠٠٠٠٠ (مائة ألف حرف) * (الحرف بعشر حسنات) = مليون حسنة!!!!

عند قراءتها ٣ مرات = ٣ ملايين حسنة!!!!

لو نشرت فضلها وقرأها ١٠ أشخاص ستحصل فى حساب حسناتك على ٣٠ مليون حسنة!

أنت تستطيع قراءتها في الدقيقه ٣٠ مرة على الأقل.

فهل معك ورقة وقلم لتحسب كم قصرًا بنيته وكم ختمة ختمتها؟!!

هل تعرف معنى الصمد؟!

الله الصمد: أي «أن الله مستغنٍ عن كلِّ شيء، وكلُّ شيء يحتاجُ إليه فيقصِدُهُ العبادُ عند الشدّة، وهو المقصود في الحوائج على الدوام هو الذي يُصمد إليه في الحوائج.. وهو من لا يحتاج إلى غيره»..

قل: لا إله إلا الله..

قال الحبيب ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»(١).

وقال الحسن البصري: «من أدّى حقها وفرضها دخل الجنة» أي ليست لمجرد الكلام وقال ﷺ: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»(٢).

فهذا هو الطريق الصحيح لمحبة الله وعبوديته ومعرفة الله وطاعته كما قالوا: «الطريق إلى محبته أن تعرف قربه إليك بمظاهر إحسانه، وواردات مننه وألطافه، وعظيم رعايته لك وعنايته بك»..

---

(١) صحيح: رواه البخارى عن أبى هريرة، انظر صحيح البخاري رقم: ٩٩.

(٢) متفق عليه من حديث عثمان بن عفان.

الحجاب.. أو.. الوصال !!

أصحابى:

لا تجعلوا بينكم وبين الله حجابًا.. فإن الوصول إلى الله تعالى ليس بقطع المسافات وتجاوز الأمكنة، ولكن علاقة العبد بربه لا يحويها زمان ولا مكان.. ولذلك أعظم الحرمان أن تحرم من الله.. وهذا الحجاب أو المانع هو قسوة من القلب وغياب الخشية ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ٧٤].

فالوصول إلى الله ومعرفته هو انقشاع وإزالة هذه الحجب (من شهوة وهوى وحب المعصية والمال الحرام و...) التى تحجب بين العبد وبين الله.. وكلما زالت هذا الحجب تم الإحساس بالتقصير وتولد الندم.. فينظر العبد إلى النعم التى تغمره ولا يشكرها أوهو مقصر في شكرها..

ومن هنا

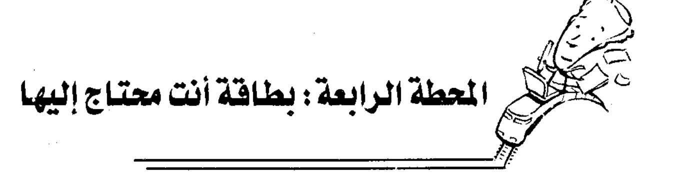
اعرف الله حتى تعود الخشية في القلوب..

ويعود الضمير في العمل..

ويعود العقل لرشده..

وتعود للنفس تزكيتها...

* * *



المحطة الرابعة: بطاقة أنت محتاج إليها

البطاقة الذهبية:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة و تسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك، فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[1].

من الفوائد:

الفائدة الأولى: التوحيد يكفر الله به الخطايا:

قال أهل العلم: «هذا الحديث الشريف فيه أن التوحيد يكفر الله به الخطايا؛ فكلمة لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، والسبب لا ينفع إلا إذا توفرت شروطه وانتفت موانعه، فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله فلا تنفعهم، وهم في الدرك الأسفل من النار، لأنهم يقولونها بألسنتهم فقط من غير اعتقاد لمعناها، وعمل بمقتضاها».

الفائدة الثانية: الإخلاص وقوة التوحيد سبب لتكفير الذنوب:

قال ابن تيمية: «النوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه منهاج إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله له به كبائر..» ثم ذكر حديث البطاقة إلى أن قال: «فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا

---

(١) صحيح: من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر السلسلة الصحيحة رقم: ١٣٥.

النار كلهم كانوا يقولون لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجح قول صاحب البطاقة».

وقال ابن القيم: «الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدًا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات فلا يعذب، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل وطاشت لأجله السجلات: لما لَمْ يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثقل والرزانة».

الفائدة الثالثة: ليست قاعدة عامة:

فهذا الرجل داخل تحت مشيئة الله ورحمته، وإلا فكم من أهل الكبائر من يعذب في النار على قدر جرمه، ثم يخرج منها، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحيحة الكثيرة، ومنها الحديث المشهور في آخر من يخرج من النار.. فلا يغتر مقصر أو مفرط أو تائه عن الله – تعالى– بأنه يقول كلمة التوحيد، ثم بعد ذلك لا يضره ما فعل، كما هي أفعال وممارسات كثير من المسلمين في تركهم الصلاة والجمع والجماعات، وفعل المنكرات التي تهتز لها الجبال.

الفائدة الرابعة: كل مسلم له مثل هذه البطاقة:

يقول ابن القيم «ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه، ولكن السر الذي ثقَّل بطاقة ذلك الرجل، وطاشت لأجله السجلات: لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات، انفردت بطاقته بالثقل والرزانة »

يقول أهل العلم شارحًا كلام ابن القيم:

« أي: لا يقول الواحد منا: هذا حديث عظيم، كلمة لا إله إلا لله ثقلت وطاشت

بالسجلات، إذًا: نفعل ما نشاء لأن عندنا لا إله إلا الله، فنقول: القضية ليست قضية بطاقة فقط، هناك حقائق وأعمال للقلب، فمن الذي يستطيع أن يدعي أنه مع هذه السجلات لديه من أعمال القلب واليقين ما يجعل البطاقة ترجح؟

ولهذا فإن هذه الحالات لشذوذها وخروجها عن القاعدة ذكرها النبي ﷺ، ولو كانت جارية على القاعدة لما ذكرها؛ لأن الجاري على القاعدة لا يحتاج أن يفرد بالذكر، وذلك كأن يقال: إن رجلًا رجحت حسناته على سيئاته فأدخل الجنة، لن يأتي حديث مثل هذا؛ لأن هذا معروف وقاعدة معلومة عند الناس، أما هذا الرجل فقد ذكر لغرابة حاله.

إذًا لا يأخذ من هذا الحديث أحد قدوة إلا في أمر واحد وهو تحقيق التوحيد؛ لأن تحقيق معنى لا إله إلا الله هو الذي جعل البطاقة تطيش بالسجلات».

الفائدة الخامسة: حسنة واحدة ربما تكفي بشرط....

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وإذا عرف أن الحسنات والسيئات تتفاضل بالأجناس تارة، وتتفاضل بأحوال أخرى تعرض لها: تبين أن هذا قد يكون أعظم من هذا، وهذا أعظم من هذا. والعبد قد يأتي بالحسنة بنية وصدق وإخلاص تكون أعظم من أضعافها. كما في حديث صاحب البطاقة الذي رجحت بطاقته التي فيها: «لا إله إلا الله» بالسجلات التي فيها ذنوبه. وكما في حديث البغي التي سقت كلبًا بموقها، فغفر الله لها. وكذلك في السيئات»[1].

وقال «فهذا لما اقترن بهذه الكلمة من الصدق والإخلاص والصفاء وحسن النية؛ إذ الكلمات والعبادات وإن اشتركت في الصورة الظاهرة، فإنها تتفاوت بحسب أحوال القلوب تفاوتًا عظيمًا. ومثل هذا الحديث الذي في حديث: المرأة البغي التي سقت كلبا فغفر الله لها؛ فهذا لما حصل في قلبها من حسن النية والرحمة إذ ذاك ومثله قوله ﷺ :«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت. يكتب الله

---

(١) مجموع الفتاوى: ١١/ ٦٥٨.

له بها سخطه إلى يوم القيامة»[١].

وتنبيه أخير..

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلاً من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد».

يقوم الإنسان ببعض الطاعات من صيام وقيـام وغيرها من أعمال الجوارح، لكن دون حضور قلب.. فيظل ساكنًا في مكانه ولا يتقدَّم إيمانيًّا.. بينما من يتعرَّف على الله عزَّ وجلَّ ويوجه بوصلة قلبه بشكل صحيح أثناء تأديته للطاعات، هو الذي يفوز بقصب السبق..

قال أبو سليمان الداراني: «إن الله تعالى يفتح للعارف على فراشه، ما لم يفتح له وهو قائمٌ يصلي».

* * *

(١) الفتاوى ١٠/ ٧٢٠.

وقبل السلام

الله يشتاق إليك ؟!!!

يقول الله عز وجل: «إني لأجدني أستحيى من عبدي يرفع إلى يديه يقول يارب يارب فأردهما؛

فتقول الملائكة: «إلهنا، إنه ليس أهلاً لتغفر له».

فأقول: ولكني أهل التقوى وأهل المغفرة أشهدكم أنى قد غفرت لعبدي»..

يا أنت: مناجاتك لله منجاتك.. نادِ فى الأسحار وقد نام غيرك كثير: إلهى عبد واقف على بابك فاجعله من أحبابك..

اتطمع يا أخانا فى دخول الجنة بذنوب لم تتب منها؟! أم بصحبة سوء سهرت معها؟!

فبادر يا من تنقضى فى الشهوات ساعاته.. وتذهب بالمعاصى أوقاته.. قف على باب ربك وتكلم من قلبك: إن طردتنى يارب فإلى من أذهب؟ وإن أبعدتنى يا مولاى فإلى من أهرب؟!

أبكى إليك يا الله وأنا فى سن الشباب قبل أن يسود الكتاب.. فاغفر لشاب قد تاب.. وبكى بدموعه نادمًا على ما فات.. وأخذ العهد على طاعتك وأناب..

يارب:

ها أنا ذا أكتب بدموعى قصة الرجوع.. وقلبى بين يديك ملأه الخشوع.. وجوارحى استسلمت لعظمتك بالخضوع.. ولا تجعلنى ياربى يوم القيامة مطرودًا مفضوحًا.. واقبلنى على ما كان منى.. وأنا علمت أنك يا رب قلت لعبدك داود: «يا داود: لو يعلم المدبرون عن شوقي لعودتهم، ورغبتي في توبته؛ لذابوا شوقًا إليَّ؛ يا داود: هذه رغبتي في المدبرين عنى.. فكيف محبتي في المقبلين عليَّ ؟!! »..



١- تدبر القرآن وفهم معانيه.

٢- كثرة ذكر لا إله إلا الله والاستغفار والمبادرة للطـاعـات.

٣- إخلاص العمل لله والتفكر ولو ثلاث دقائق يوميًّا في خلق الله.

٤- شكر نعم الله.

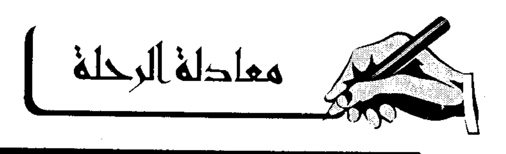
٥- اقرأ عن فضائل الأعمال والعبادات.

٦- اقرأ عن معانى أسماء الله الحسنى وصفاته.

٧- التغلب على الأخلاق السيئة.

٨- تُعظِّم جميع أوامره ونواهيه.

قال أهل العلم: «من أمارات المعرفة بالله: حصول الهيبة منه، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته».



ذكر+ طاعة+ تفكر= معرفة الله





الرحلة الثانية

أنت الكسبان

ضربة البداية

مر أحد الصالحين على رجل شُلت يداه وساقاه وبه كل الأمراض والعاهات وهو يردد: «الحمد الذي عافاني مما ابتلى كثيرًا من عباده» فقال له: ومن الذي عافاك؟!! إنك مبتلى بجميع الابتلاءات.. فقال الرجل: «أحمده على أن جعل لي لسأنا يذكره وقلبًا يشكره»..

حمـدت الله ربـى إذ هـدانى ... إلى الإسـلام والـدين الحنيـف
فيـذكره لسـانى كـل وقـت ... ويعرفـه فـؤادى بـاللطيف

هل تعرف صاحب هذه القصة؟!

ذات يوم دخل رجل مسكين فقير مسجدًا، وكان لا يملك طعامًا ولا شرابًا ولا مالاً وحين رآه أحد الأغنياء احتضنه وأعطاه مالاً وطعامًا وشرابًا ثم أوجد له وظيفة يتكسب منها هذا الفقير المسكين.. ومرت الأيام وصارت المكاسب تأتي وصار هذا الفقير مديرًا لهذا المصنع.. وكان هذا الرجل المسكين يرسل لصاحب رأس المال حقه ومضت الأيام والسنون.. وكبرت الشركة أكثر وأكثر وصار هذا الرجل الذى كان فقيرًا من أغنى الأغنياء ومن كبار رجال الأعمال.. فرأى نفسه وصار لا يعطى صاحب رأس المال حقه، ولم يذكر فضله بل نسيه ولم يتذكر مساعدته بل تجاهله..

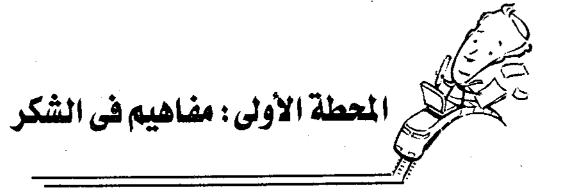
فمضت الأيام وانقضت السنون:

وصارت الخسارة تلاحقه حتى صار كما كان من قبل، وهنا لم يجد بابًا يطرقه ولا رحابًا يأويه إلا من تفضل عليه سابقًا!!..

فهل يا صاحبى تعرف من هو الرجل المسكين الفقير.. ومن هو صاحب النعمة ومالك رأس المال؟! أن المسكين الفقير هو أنت، وربك هو صاحب النعمة والفضل، ولكن نسيت شكره، وانشغلت عن حمده، فزالت النعمة؛ لذا قال لك السلف: «إن النعم وحشية فقيدوها بالشكر».

وهناك وجهه نظر مختلفة تمامًا هي من رأي أبى ذر الغفاري حين سئل: أي الناس أنعم! قال: «جسد في التراب، آمن من العذاب فانتظر الثواب»..

* * *



المحطة الأولى: مفاهيم في الشكر

معنى الشكر..

قال المناوي: «الشكر: شُكْران: الأول شكر باللسان وهو الثناء على المنعم، والآخر شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق، والشكور الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا»(١)..

وأمسك ابن القيم قلمه شارحًا: «الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة»(٢).

ومفهوم الشكور لا بد أن يفهم:

قال الإمام الغزالي: «الشكور في أسماء الله تعالى: هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود، ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال: إنه شكر تلك الحسنة، ومن أثنى على المحسن أيضًا يقال: إنه شكر، فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله عز وجل! لأن زياداته في المجازاة غير محصور ولا محدودة»(٣).

وأما الشكور:

فالشيخ ابن سعدي له كلام: «وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظّف عليه من عبادته ومن أسماء الله الحسنى الشكور، وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يُضيع أجر من أحسن عملا، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عد ولا حساب. ومِنْ شُكْره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. وقد يجزي الله العبد على

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٢٠٦.

(٢) المدارج: ٢/ ٢٤٤.

(٣) شرح الشافية الكافية- عبد الرحمن السعدى.

العمل بأنواع الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد، وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمًا منه وجودًا، والله لا يضيع أجر العاملين إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوا لله تعالى».

القواعد التى يبنى عليها الشكر

يا شباب: الشكر له قواعد يبنى عليها ولا يقوم إلا بها.. مثل البيت لا يبنى إلا على قواعد ولا يعلو إلا على أساسات.. وحتى يعلو البناء ويرتفع البيت ويثبت البنيان.. فلا بد لك من القواعد هذه:

القاعدة الأولى: خضوع الشاكر (أنت) للمشكور (الله):

أنت تخضع وتذلل بين يدى ربك الذى علمت أنه لا رازق ولا مدبر ولا خالق ولا معطى ولا مانع ولا نافع ولا ضار إلا هو سبحانه..

القاعدة الثانية: حبك له:

من البديهى أن تحب من أعطاك النعم ومن أسدى لك العطاء، وجُبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وهل يعقل أن لا يحب الإنسان من يعطيه ويرزقه ويكافأه ويبارك له؟!

القاعدة الثالثة: اعترافك بنعمه:

حقًّا.. كل النعم والعطاءات والهبات من الله وحده.. لا يملك لك صاحبك أن يعطيك.. ولا يستطيع مديرك أن يمنعك.. ولا أستاذك أن ينجحك.. بل كلها محض فضل من الله وحده.

القاعدة الرابعة: الثناء عليه بها:

كثرة الثناء على الله وحركة اللسان بذكره وشكره وحمده على ما به من نعم عليك وما أجزل لك به العطاء.. وتذكر يا صاحبى أنك تبدأ كل صلاة فى سورة الفاتحة: «الحمد لله رب العالمين» وتنهى صلاتك «إنك حميد مجيد».. فأكثر من الثناء على ربك المنعم عز وجل..

القاعدة الخامسة: لا يستعملها فيما يكره:

بعد كل هذه النعمة التى تمرغت فيها.. وتملأ عليك حياتك.. وتكبر أمام عينيك.. هل المقابل يكون الجحود والنكران والمعصية؟!!

ملحوظة: (لو اختلت قاعدة واحدة لاختلت كل القواعد).

أقسام الشكر:

شكر اللسان: التحدث بنعم الله تعالى قال عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

شكر الأركان: العمل بالطاعة لله تعالى قال عز وجل: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

شكر الجنان: الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله تعالى قال عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

الفرق بين الحمد والشكر!!

تكلم أهل العلم كثيرًا في الفرق بين الحمد والشكر فقالوا: الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانةً، وباللسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا، والحمد يكون بالقلب واللسان. وقال بعضهم: إن الحمد والشكر بمعنى واحد.

وقالوا: إن الحمد يكون على كل حال، والشكر يكون على وصول النعمة إلى الشاكر.

ورجح أهل العلم أن «الحمد: يكون باللسان والقلب؛ أما الشكر فهو باللسان والقلب والجوارح».

كلام مهم:

إذا أراد الله بعبده خيرًا عظم النعمة فى قلبه وأنطقه بلسان شكره.

النعم مع الشكر أحلى وألذ وأجمل من النعمة بغير شكر.

هل تأكل الطعام بلا مضغ كذلك النعمة لا تصح من غير شكر.

سؤال مهم جدًا: **هل نشك؟!**

اسمع.. عن أنس بن مالك أَنَّ النبى ﷺ كَانَ يلقى رجلاً فيقول: «يا فلان كَيْفَ أنت؟ وكَيْفَ؟» فيَقُولُ: بِخَيْرٍ أَحْمَدُ الله، فيَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «جَعَلَكَ اللهُ بِخَيْرٍ»، فَقَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: «كَيْفَ أنت؟» فَقَالَ: بِخَيْرٍ إِنْ شَكَرْتُ، قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: يَا نبى اللهَّ، إِنْك كُنْتَ تسألنى فتقول: جَعَلَكَ اللهُ بِخَيْرٍ، وإنك اليوم سكتَّ؛ فقال: «إنى كنت أسألك تقولَ: بخير أحمد الله فأقول: جعلك الله بخير وَإِنَّكَ قُلْتَ الْيَوْمَ: بِخَيْرٍ إِنْ شَكَرْتُ، فَشَكَكْتَ، فَسَكَتُّ عَنْكَ»[1].

وتعليق لا بد منه..

يا الله.. هل أدركت يا صاحبى مغزى الكلام.. وفطنت لمعناه.. هل أنت على يقين أن كل النعم من الله وحده ولا غيره، وهنا تحقق توحيد الربوبية أنه لا رازق ولا خالق ولا مالك ولا مدبر إلا الله.. وإذا كان لأحد عليك فضل فى زواجك أو تربيتك أو وظيفتك أو نجاحك فكلنا من البشر أسباب لا نضر ولا ننفع.. بل هو محض فضل من الله عليك..ومن هنا فاشكر ربك بقلب كله ثقة ويقين.. وأبعد عن قلبك القلق من المقدور والشك فى الغد حتى تتسلم دعوة النبى ﷺ لك: «جعلك الله بخير»، ولا تشك فيسكت عنك ﷺ وتُحرم من دعائه لك..

من معنا؟!

يا شباب: كم واحدًا منا الآن سينال دعوة الحبيب ﷺ: «جعلك الله بخير» وكم منا سيحرم منها؟! الآن: احمد ربك بثقة واشكره بيقين، وسترى أثر ذلك رأى العين.. واعلم أنه لا يكون فى ملك الله إلا ما أراد الله..

وتذكر نصيحة الحبيب الشاكر ﷺ للشاب معاذ: «يا معاذ والله إني لأحبك فلا تدعن أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[2].

وعلى قدر معرفتك بمولاك وأنت بين يديه يكون شكرك وإحساسك بالتقصير فى حقه شكر نعمة سبحانه».

---

(١) صحيح: رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أنس بن مالك..

(٢) صحيح: ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية من حديث معاذ بن جبل ٧/ ٩٧ وقال: صحيح.

المحطة الثانية: لماذا تشكر؟

البحث عن المزيد:

هل تريده؟!

نبحث يا شباب دومًا عن الكثير من المال والقوة فى الصحة والدين فى الزوجة والزيادة فى الرزق؛ ولذا صرح الإمام على بن أبى طالب «أن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد وهما مقرونان فى قرن.. فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد» [(١)].

وقال ابن القيم: «قرن الله سبحانه الشكر بالإيمان، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به، فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ...

أي إن وفيتم ما خلقتكم له، وهو الشكر والإيمان فما أصنع بعذابكم؟ وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنّته عليهم من بين عباده، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاء مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ .

قال صاحب الفتح: « إذا تحقق شكرك لله ألهم الله قلوب الخلق وألسنتهم الشكر لك والتودد إليك فحين لا طريق للشيطان وأعوانه عليك».

إما شاكرًا وإما كفورًا:

قسّم الله -سبحانه وتعالى- الناس إلى شكور وكفور، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله. قال تعالى: ﴿أنا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وهذا كثير في القرآن، يُقابل سبحانه بين الشكر والكفر فهو ضده.

(١) عدة الصابرين، ص ١٢٣.

وعلّق الله سبحانه المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره.. قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ .

الزيادة.... لك أنت؟!

وهل منا من أحد لا يحب الزيادة؟! وتذكر يا صاحبي أن الزيادة ليست من مديرك ولا من رئيسك، ولا من أستاذك ولا من والدك ولا من رجل أعمال؛ بل الزيادة من... الله.. فهلا بحثت عن الزيادة وشكرت ربك؟! واعلم أنه بشكرك لا يزيد ملك ربك شيء، ولا بنكرانك لجميله سيقل ملكه شئ كلا؛ بل أنت وحدك المستفيد وأنت الكسبان..فلا تبخل على نفسك..

معرفة قدر النعمة:

الشباب الآن:

يرون أن رزقهم ضعيف والنعم عندهم قليلة، ولكن بلمح البصر انظر إلى صحتك وإلى جيبك وإلى محمولك وإلى أكلك وإلى شربك وإلى بيتك.. هل بعد كل هذا لا ترى النعمة كبيرة؟ هل بعد كل هذا لا ترى أن النعمة عظيمة؟..

على الأقل.. ثلاثة أشياء:

قال بعض الحكماء «اشتغلت بشكر ثلاثة أشياء:

أولها: أن الله تعالى خلق ألف صنف من الخلق، ورأيت بنى آدم أكرم الخلق فجعلنى من بنى آدم.

الثاني: رأيت الإسلام أفضل الأديان ومن أجلها إلى الله فجعلنى مسلمًا.

الثالث: رأيت أمة محمد أفضل الأمم وجعلنى من أمة محمد»[(١)] .

قال الحسن البصري: «من لا يرى لله تعالى عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب أو لباس، فقد قصر علمه، وحضر عذابه».

---

(١) تنبيه الغافلين، ص ٣١٧.

هل تشكو الحاجة؟!

جاء رجل إلى يونس بن عبيد، يشكو ضيق حاله فقال له يونس: أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم؟

قال: لا!

قال: فبيدك مائة ألف؟!

قال الرجل: لا!

قال: فبرجليك؟!

قال الرجل: لا!

قال: فذكره نعم الله عز وجل.

فقال يونس: أرى عندك مئين الألوف، وأنت تشكو الحاجة؟!

وافهم أيها العاقل: أن من أعظم نعم الله عليك هي: الهداية إلى دين الإسلام.. والثبات على التوحيد.

جاء عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ قال: «لا إله إلا الله».

وقال سفيان بن عينية: «ما أنعم الله -عز وجل- على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم أن لا إله إلا الله».

قال: «وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا».

أسياد النعم:

وقال بكر بن عبدالله المزنى: «من كان مسلمًا وبدنه في عافية، فقد اجتمع عليه سيد نعيم الدنيا، وسيد نعيم الآخرة، لأن سيد نعيم الدنيا هو العافية، وسيد نعيم الآخرة هو الإسلام».

ودخل رجل على سهل بن عبد الله فقال: «اللص دخل داري وأخذ متاعي؛ فقال: اشكر الله فلو دخل اللص قلبك وهو الشيطان، وأفسد عليك التوحيد ماذا كنت تصنع؟!»

هل تذكرت عظم هذه النعمة؟!

وعن الحسن قال: سمع النبي رجلاً يقول: الحمد لله بالإسلام فقال: «إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة»[1].

كم من مساكين أولئك الذين وقفت عقولهم عند نعمة الأكل والشرب، وذهلت قلوبهم بالمال الكثير والمنزل الجميل والسيارة الجديدة.. ولم يذكروا نعمة الإسلام.. وإن اختار الله لهم الدين الذي اختاره رب العالمين لنفسه.. لذا رأى ابن القيم أن «شكر العامة على المطعم والملبس وقوت الأبدان، وشكر الخاصة على التوحيد والإيمان وقوت القلوب»..

وعن الأصبع بن نباتة قال: كان على بن أبى طالب إذا دخل الخلاء قال «بسم الله الحافظ المؤدي».. وإذا خرج مسح بيديه بطنه ثم قال «يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها»..

عن سعد بن مسعود الثقفي قال: «إنما سمي نوح عليه السلام عبدًا شكورًا لأنه لم يلبس جديدًا ولم يأكل طعامًا إلا حمد الله تعالى»..

فكر واشكر..

تذكر نعم الله عليك فإذا هي تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ صحة في بدن، أمن في وطن، غذاء وكساء وهواء وماء لديك الدنيا وأنت ما تشعر تملك الحياة وأنت لا تعلم ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ عندك عينان ولسان وشفتان ويدان ورجلان..

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الشكر، ص ١١.

..«فبأي آلاء ربكما تكذبان»..

هل هي مسألة سهلة أن تمشي على قدميك وقد بترت أقدام؟! وأن تعتمد على ساقيك وقد قطعت سوق؟!أحقير أن تنام ملء عينيك وقد أطار الألم نوم الكثير؟! وأن تملأ معدتك من الطعام الشهي، وأن تشرب من الماء البارد وهناك من عكر عليه الطعام ونغص عليه الشراب بأمراض وأسقام؟!

تفكر في سمعك وقد عوفيت من الصمم، وتأمل في نظرك وقد سلمت من العمى، وانظر إلى جلدك وقد نجوت من البرص والجذام، والمح عقلك وقد أنعم عليك بحضوره ولم تفجع بالجنون والذهول.أتريد في بصرك وحده كجبل أحد ذهبًا؟! أتحب بيع سمعك وزن تلال من الفضة؟! هل تشتري عشرات القصور بلسانك فتكون أبكم؟!هل تقايض بيديك مقابل عقود اللؤلؤ والياقوت لتكون أقطع؟! إنك في نعم عميمة وأفضال جسيمة ولكنك لا تدري..

تعيش مهمومًا مغمومًا حزينًا كئيبًا! وعندك الخبز الدافئ والماء البارد والنوم الهانئ والعافية الوارفة تتفكر في المفقود ولا تشكر الموجود! تنزعج من خسارة مالية وعندك مفتاح السعادة ومن قناطير مقنطرة من الخير والمواهب والنعم والأشياء، فكِّر واشكر ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] فكِّر في نفسك وأهلك وبيتك وعملك وعافيتك وأصدقائك والدنيا من حولك، اللهم إنا نعوذ بك من أن نكون من الذين ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[1].

يا أنت: هل سبب غفلتك عن الله كثرة نعمه عليك؟
يا أنت: هل سبب غفلتك عن الله كثرة نعمه عليك؟
يا أنت: هل سبب غفلتك عن الله كثرة نعمه عليك؟

(١) انظر كتاب لا تحزن.

وباب الرضا مفتوح:

قال ﷺ: «إن الله يرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربه فيحمده عليها»[(١)].

أراك تعيد قراءة الحديث مرة أخرى.. هل إذا شكرت عند أكلى وشربى وحمدت ربى رضى عنى.. اقول لك نعم.. وهل تشك فى ذلك؟! فكم من أكلة شهية أتت بعد جوع قاتل تلذذت بحلاوتها ونسيت حمد ربك عليها؟! وكم من شربة ماء باردة فى الحر الشديد شربتها واستمتعت بمذاقها ونسيت شكر من رزقك بها؟!

ونتعلم هنا من الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة.. حين جلسا إلى الصباح يتذاكرون النعم؛ فجعل سفيان يقول: «أنعم الله علينا فى كذا وكذا.. أنعم الله علينا فى كذا وكذا..»[(٢)].

حتى فى الجنة والنار!!..

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرًا، ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة»[(٣)].

إنه الإقرار بالنعم بأن الله وحده هو الواهب والرازق.. فتدخل الجنة إن شاء الله، ولكن يريد ربك أن يعرفك قدر النعمة ويقررك بها فترى مقعدك من النار لو كنت مسيئًا مذنبًا.. فتعرف هنا فى تلك اللحظة وأنت تأخذ نفسك العميق، ويستريح قلبك بكونك فى الجنة بعد لحظة رأيت فيها النار لتحمد ربك وتشكره بل وتزداد شكرًا له.. فإذا كان هذا حال أهل الجنة فما بالك بحالنا الآن إنما ترى تقصيرك ونسيانك ونكرانك لنعم ربك وفضله ومنته عليك؟! فحرك لسانك الآن واشكر..

يا صاح: إذا أرادك الله بنعمة فهى لك أنت لا له وإذا شكرت فلك أنت لا له..واقرأ بتدبر قول ربك: ﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ﴾ وأعد الآية على قلبك كثيرًا كثيرًا..

---

(١) رواه مسلم والترمذى وأحمد.

(٢) عدة الصابرين، ص ٢١٠.

(٣) صحيح: رواه البخارى عن أبى هريرة، انظر صحيح البخاري رقم: ٦٥٦٩.

ستُسأل عن هذا؟!!!

كم يومًا مر عليك كهذا؟!

عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان إذا جاءهما النبي ﷺ فقال: ما أجلسكما هاهنا..؟

قالا: والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع.

قال: «والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره»!!

فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار فاستقبلتهم المرأة..

فقال لها النبي ﷺ: أين فلان..؟

فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء. فجاء صاحبهم يحمل قربته.

فقال: مرحبًا... ما زار العباد شي أفضل من نبي زارني اليوم، فعلق قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بعذق فقال النبي ﷺ: «ألا كنت اجتنيت؟».

فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم، ثم أخذ الشفرة فقال له النبي: «إياك والحلوب».

فذبح لهم يومئذٍ فأكلوا فقال له النبي ﷺ: «لتسألن عن هذا يوم القيامة.. أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من النعيم»[١].

وحالنا نحن يقول:

آه.. إنه الحبيب النبى ﷺ الذى لا يجد فى بيته كسرة خبز... ولا أبو بكر ولا عمر.. وأنت يا صاحبى هل لا تملك كسرة خبز؟! هل لا تملك ثمن رغيف خبز تسد به جوعك؟ هل تشتكى ثلاجة بيتك من فراغها؟.. هل تشتكى سفرة بيتك من كونها خالية؟ هل تشتكى بطنك من جوعها وعطشها؟ كلا والله.. بل كل ما لذ وطاب.. والإسراف عنوان

---

(١) رواه مسلم.

للبعض فى الأكل والشرب والشراء.. والكل اليوم يملك رغيف خبزه على الأقل، أما حبيب قلبك ﷺ لم يكن لديه ذلك.. ليعلمنا ويربينا أننا سنحاسب وتذكر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]..

ولك أجر...

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ؛ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؛ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[1].

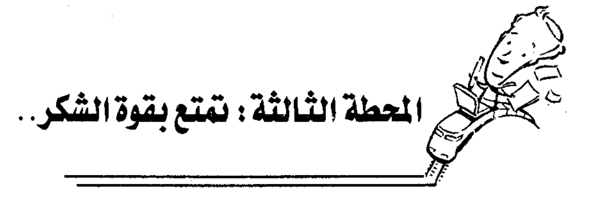
أجب عن السؤال الآتى:

حين سئل النبى ﷺ عن رؤية الله يوم القيامة فقال : «فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما قال: فيلقى العبد فيقول أي فل (فلان) ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. أي رب فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا فيقول فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثنى بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذًا، قال: ثم يقال له الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد على فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه»[2].

فأين شكر ذلك؟

---

(١) صحيح: رواه البخارى عن أبى هريرة، انظر صحيح البخاري رقم: ٢٣٦٣.
(٢) البخارى ومسلم واللفظ لمسلم.



المحطة الثالثة: تمتع بقوة الشكر..

الشكر بوابة للنجاح:

تعجبت من كلام «جيمس راي» حين قال: «إن قوة الشكر كبيرة جدًّا فأنا أبدأ يومي كلما استيقظت صباحًا بعبارة: «الحمد لله»؛ لأنني وجدتها مفيدة جدًّا وتمنحني طاقة عظيمة! ليس هذا فحسب بل إنني أشكر الله على كل صغيرة وكبيرة، وهذا سرّ نجاحي أنني أقول «الحمد لله» وأكررها مرارًا طيلة اليوم!!

وكذلك الدكتور «جون غراي» الطبيب النفسي المشهور وهو يؤكد على أهمية الشكر في حياة الإنسان الناجح.. فالزوجة مثلًا التي تشكر زوجها على ما يقوم به، فإن هذا الشكر يحفزه للقيام بمزيد من الإبداعات والنجاح، فالامتنان يقدم لك المزيد من الدعم والقوة.

الشكر طريق سهل للإبداع:

قام العلماء بتجارب كثيرة لدراسة تأثير الشكر على الدماغ ونظام المناعة والعمليات الدقيقة في العقل الباطن، ووجدوا أن للشكر تأثيرًا محفزًا لطاقة الدماغ الإيجابية، مما يساعد الإنسان على مزيد من الإبداع وإنجاز الأعمال الجديدة. كما تؤكد بعض الدراسات أن الامتنان للآخرين وممارسة الشكر والإحساس الدائم بفضل الله تعالى يزيد من قدرة النظام المناعي للجسم!

يقوم الدكتور «روبرت إيمون» وفريق البحث في جامعة كاليفورنيا بدراسة الفوائد الصحية للشكر، كانت النتيجة«أن الشكر يؤدي إلى السعادة وإلى استقرار الحالة العاطفية وإلى صحة نفسية وجسدية أفضل، فالطلاب الذين يمارسون الشكر كانوا أكثر تفاؤلًا وأكثر تمتعًا بالحياة، ومناعتهم أفضل ضد الأمراض. وحتى إن مستوى النوم لديهم أفضل!».

الشكر يقوم بحل المشاكل:

يؤكد الباحثون في علم النفس أن الشكر له قوة هائلة في علاج المشاكل؛ لأن قدرتك على مواجهة الصعاب وحل المشاكل المستعصية تتعلق بمدى امتنانك وشكرك للآخرين على ما يقدمونه لك. ولذلك فإن المشاعر السلبية تقف حاجزًا بينك وبين النجاح، لأنها مثل الجدار الذي يحجب عنك الرؤيا الصادقة، ويجعلك تتقاعس على أداء أي عمل ناجح.

عندما تمارس عادة «الشكر» لمن يؤدي إليك معروفًا فإنك تعطي دفعة قوية من الطاقة لدماغك ليقوم بتقديم المزيد من الأعمال النافعة؛ لأن الدماغ مصمم ليقارن ويقلّد ويقتدي بالآخرين وبمن تثق بهم. ولذلك تحفز لديك القدرة على جذب الشكر لك من قبل الآخرين، وأسهل طريقة لتحقيق ذلك أن تقدم عملًا نافعًا لهم.

يؤكد العلماء أن كل تصرف تقوم به أو حركة تعملها أو كلمة تنطق بها... إنما تصدر نتيجة برامج معقدة موجودة في داخل الدماغ في منطقة تسمى العقل الباطن (وهي منطقة مجهولة حتى الآن). وهناك تفاعلات يقوم عقلك الباطن في كل لحظة مع الأحداث التي تمر بك، وعند ممارستك لأي عمل هناك عمليات معقدة تحدث في دماغك لا تشعر بها.

فكثير منا يحاول حفظ القرآن مثلًا ولا يستطيع، بل يجد ثقلًا وكأن شيئًا يبعده عن هذا الحفظ. وكثير منا يحاول أن ينجز عملًا فلا يجد رغبة في ذلك فيتقاعس وتجده كئيبًا منعزلًا لا يجد لذة في هذا العمل، فلا يقدم عليه. وكثير أيضًا لديهم طموحات في مجال الدراسة أو العمل أو العاطفة... ولكن لا ينجزون أي شيء!

هل تعلمون ما هو سبب هذه الظاهرة الخطيرة؟

إنه عقلك الباطن الذي امتلأ بالأفكار السلبية وتمَّ حشوه بالمعلومات الخاطئة عن الآخرين وفقد التوجه الصحيح، وبالتالي لا بد من إعادة شحنه وبرمجته وتنشيطه.

للشكر طاقة هائلة تظهر بعد فترة من ممارسته، فالمبدعون الذين كانوا يشكرون الآخرين ويعبرون عن امتنانهم بشتى الطرق، أدركوا فوائد هذا العمل، وبالتالي أكثروا منه واستثمروه وحصدوا نتائجه من خلال ما قدموه من إبداع واكتشاف.

والآن يأتي دور الشكر والامتنان، حيث إنك عندما تشكر الناس وتشكر الله، فإن كل عملية شكر تقوم بها تشكل في عقلك الباطن معلومة جديدة تحفزه ليدفعك للعمل أكثر، لأنك ستعتقد أن الناس سيقدرون عملك ويهتمون به ويشكرونك عليه، وهذا يقودك لمزيد من العمل.

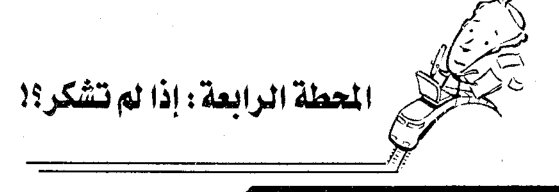
بينما نجد الإنسان الذي لا يشكر الناس يظن بأن الآخرين لن يشكروه على أي عمل يقدمه مهما كان مهمًّا، وبالتالي يختفي الحافز والدافع لأي عمل جديد، فتجده يفقد الرغبة في الإنجاز ومع الزمن يتطور الأمر فيصاب باكتئاب خفيف، وقد يتطور إلى اضطراب مزمن...

كن متفائلاً:

دماغ الإنسان الذي يشكر الناس يكون أكثر نشاطًا، وبالتالي نجده متفائلًا وبعيدًا عن الاكتئاب، بينما نجد الدماغ المكتئب لم يتعود على ممارسة الشكر! تؤدي مشاعر الامتنان وممارسة الشكر، إلى إطلاق مواد كيميائية في الجسم مثل مادة دوبامين ومادة سيروتونين. وهذه المواد تنطلق طبيعيًّا أثناء السعادة، ويقل إفراز هرمون الإجهاد كورتزول، مما يؤدي لوقاية القلب من النوبات القلبية ومرض الأوعية القلبية [١].

***

(١) بحث منشور على الأنترنت.



المحطة الرابعة: إذا لم تشكر؟!

المصيبة الأولى: حرمان البركة:

عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، قد قذرني الناس. قال: فمسحه، فذهب عنه فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا.

فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل. أو قال: البقر (شك في ذلك) إن الأبرص والأقرع: قال أحدهما الإبل، وقال الآخر: البقر: فأعطي ناقة عشراء، فقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرًا حسنًا.

قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملًا، وقال: يبارك لك فيها..

وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال يرد الله لي بصري فأبصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره.

قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدًا. فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا واد من الغنم.

ثم أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك الذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن، والمال بعيرًا أتبلغ عليه في سفري.

فقال له: إن الحقوق كثيرة.

فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله؟

فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر.

فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا.فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري.

فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيرًا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله.

فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»[(١)].

وسيدنا عمر كان يكثر الدعاء: «اللهم إنى لا أسألك رزقًا قد قدرته لى، ولكنى أسألك البركة فى هذا الرزق».

خلاصات سريعة ولكنها عميقة..

يا أخانا:

- إذا كان الشكر على نعمة الشكر واجبة فكيف بمن لا يشكر.
- كلما ازادت النعم عليك ونمت بين يديك كلما طلب منك مجهود أكثر فى شكرها.
- النعم العظيمة إذا لم تشكرها ملأت قلبك حسرة إذا فقدتها (فيات وبى أم ديلبو).
- أول طريق الشكر تعظيم النعمة وتعظيم المنعم الذى أهداها لك وذكرك بها.

(١) صحيح: رواه البخارى عن أبى هريرة، انظر صحيح البخاري رقم: ٣٤٦٤.

- إنك تستدل بالنعم على وجود الله عز وجل.
- هناك قوم عاديون يشكرون فقط على النعم عندما تأتى، أما غير العادى هو الشكر الدائم على النعمة أتت أم لم تأتِ..

المصيبة الثانية: زوال النعمة:

قال السلف: «إن النعم وحشية فقيدوها بالشكر».

هل سمعت عن قارون:

ورد ذكر قارون في سورة العنكبوت، وغافر، وورد ذكر القصة بتفصيل أكثر في سورة القصص قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۞ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٧٦- ٨٣].

الحكاية من البداية

كنوز ومفاتيح:

كان قارون من قوم موسى.. ويصف الله -عز وجل- مفاتيح الحجرات والغرف التي تضم الكنوز كان يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء من كثرتها

وضخامتها.. ولو عرفنا عن مفاتيح الكنوز هذه الحال، فكيف كانت الكنوز ذاتها؟!

وبغى على قومه:

لكن قارون بغى على قومه بعد أن آتاه الله الثراء فربما كان يظلمهم ولا يعطى حق الله فى ماله ويتكبر عليهم، ويغتصب أرضهم وبحرمانهم حقهم في ذلك المال.. حق الفقراء في أموال الأغنياء. وربما بغى عليهم بأمور أخرى لا نعلمها..

اتبع المنهج السليم:

ويبدو أن العقلاء من قومه نصحوه بالقصد والاعتدال، وهو المنهج السليم. فهم يحذرونه من الفرح الذي يؤدي بصاحبه إلى نسيان من هو المنعم بهذا المال، وينصحونه بالتمتع بالمال في الدنيا، من غير أن ينسى الآخرة، فعليه أن يعمل لآخرته بهذا المال.. ويذكرونه بأن هذا المال هبة من الله وإحسان، فعليه أن يحسن ويتصدق من هذا المال، حتى يرد الإحسان بالإحسان. ويحذرونه من الفساد في الأرض، بالبغي، والظلم، والحسد، والبغضاء، وإنفاق المال في غير وجهه، أو إمساكه عما يجب أن يكون فيه. فالله لا يحب المفسدين.

وجاء موعد الإنكار:

فكان رد قارون جملة واحد تحمل شتى معاني الفساد: «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي» لقد أنساه غروره مصدر هذه النعمة وحكمتها ومن المنعم ومن الرازق.. فأغرقته فتنة المال وأعماه الثراء فنسى ربه ونعمه تغمره من فوقه ومن تحته.. فأصم قارون أذنيه..

وذات يوم..

خرج قارون على قومه بكامل زينته فطارت قلوب بعض القوم، وتمنوا أن لديهم مثل ما أوتي قارون، وأحسوا أنه في نعمة كبيرة.. فرد عليهم من سمعهم من أهل العلم والإيمان: ويلكم أيها المخدوعون، احذروا الفتنة، واتقوا الله، واعلموا أن ثواب الله خير من هذه الزينة، وما عند الله خير مما عند قارون..

القدرة الإلهية والنهاية المهلكة:

وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، تتدخل القدرة

الإلهية لتضع حدًّا للفتنة، وترحم الناس الضعاف من إغرائها، وتحطم الغرور والكبرياء، فيجيء العقاب حاسمًا﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ هكذا في لمحة خاطفة ابتلعته الأرض وابتلعت داره وذهب ضعيفًا عاجزًا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال.وبدأ الناس يتحدثون إلى بعضهم البعض في دهشة وعجب واعتبار. فقال الذين كانوا يتمنون أن عندهم مال قارون وسلطانه وزينته وحظه في الدنيا: حقًّا إن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويوسع عليهم، أو يقبض ذلك، فالحمد لله أن منّ علينا فحفظنا من الخسف والعذاب الأليم أنا تبنا إليك سبحانك، فلك الحمد في الأولى والآخرة.

مملكة سبأ:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ۞ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۞ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

[سبأ: ١٥- ١٩].

ثمار وكنوز:

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سد مأرب كان صنعته أن المياه تجري من بين جبلين فعمدوا في قديم الزمان، فسدوا ما بينهما ببناء محكم جدًّا حتى ارتفع الماء فحكم على أعالي الجبلين وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة، وزرعوا الزروع الكثيرة، ويقال كان أول من بناه سبأ بن يعرب وسلط إليه سبعين واديًا يفد إليه، وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ومات ولم يكمل بناؤه فكملته حمير بعده، وكان اتساعه فرسخًا في فرسخ، وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة، حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فيمتلئ من الثمار ما يتساقط فيه من نضجه وكثرته، وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب

المؤذية لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

قاعدة واضحة:

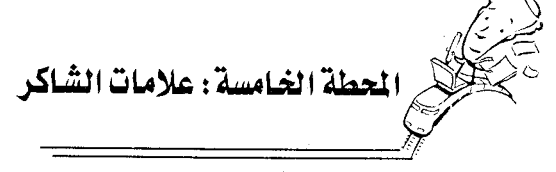
وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته وسألوا بعد تقارب ما بين قراهم وطيب ما بينها من البساتين وأمن الطرقات سألوا أن يباعد بين أسفارهم، وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب، وطلبوا أن يبدلوا بالخير شرًّا كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسلوى البقول والقثاء والفوم والعدس والبصل، فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ قال: غير واحد: أرسل الله على أصل السد الفأر، وهو الجرذ ويقال: الخلد. فلما فطنوا لذلك أرصدوا عندها السنانير فلم تغن شيئًا؛ إذ قد حم القدر ولم ينفع الحذر.. كلا لا وزر، فلما تحكم في أصله الفساد سقط وانهار فسلك الماء القرار، فقطعت تلك الجداول والأنهار، وانقطعت تلك الثمار، وبادت تلك الزروع والأشجار، وتبدلوا بعدها برديء الأشجار والأثمار.

وهذه النهاية..

قال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: هو الأراك وثمرة البرير، وأثل وهو الطرفاء وقيل: يشبهه وهو حطب لاثمر له ﴿وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦]، وذلك لأنه لما كان يثمر النبق كان قليلاً مع أنه ذو شوك كثير، وثمره بالنسبة إليه كما يقال في المثل: لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

* * *



المحطة الخامسة: علامات الشاكر

العلامة الأولى: فلْيُرَ عليك:

عن أبي الأحوص عن أبيه ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ في ثوب دون، فقال: «ألك مال؟» قال: نعم، قال: «من أي المال؟» قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال: «إذا أتاك الله مالًا فلير عليك»(١).

«إذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته»(٢). يا أخي:

ارتدِ أجمل الثياب ويا أختاه أرتدى أجمل الثياب ولكن كما أمر نبيك ﷺ وأظهروا نعمة الله، وساعدوا غيركم بكلامكم وحالكم أن يشكروا ربهم فى هذا الزمن، الذى قل فيه الشكر وتحطم فيه الرضا عن الله.. فبالله عليكم ساعدوا العباد على شكر ربهم ولا تكونوا سببًا فى نكران الجميل ونسيان النعم والشكوى إلى الخلق..

العلامة الثانية: لسان يشكر ويحمد كلسان حال أهل الجنة:

قال ابن عباس: «الحمد لله كلمة كل شاكر».

قال ﷺ: «إن أول من يدعى إلى الجنة الحامدون لله تعالى على كل شيء»(٣).

وأهل الجنة يحمدون:

وإن أهل الجنة يحمدون اللهَّ تعالى في ستة مواضع: أحدها عند قوله تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي نَجَّانا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، والثاني حين جاوزوا الصراط قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]

---

(١) صحيح.. رواه أحمد عن أبي الأحوص.

(٢) صحيح: من حديث والد أبي الأحوص: وقال الألبانى: صحيح، انظر صحيح الجامع رقم: ٢٥٤.

(٣) صحيح.

والثالث لما اغتسلوا بماء الحياة نظروا إلى الجنة فقالوا ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانا اللهُ﴾ ، والرابع حين دخلوها قالوا: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤] الخامس حين استقروا في منازلهم قالوا: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٥، ٣٦]، والسادس حين فرغوا من الطعام قالوا ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

شكر ليل نهار:

يا صاحبي: الشاكر يحمد ربه ويشكره دومًا.. أما من لا يشكر أو يستصغر النعمة كمن يرى الشمس فقط وقت الغروب.. ويظن أن الأمر انتهى وأنه أدى ما عليه، أما الشاكر هو من يديم الشكر والحمد، لأنه يرى أن الشمس تغرب وفى اليوم التالى تشرق بنور جديد ويوم جديد ونعم تترى جديدة.. فهو يجدد شكره وحمده لأنه يرى الشمس وهى ساطعة مشرقة تملأ الكون بالنور والضياء، وشتان بين هذا وبين من يرى الشمس الضعيفة الخافتة وقت الغروب!!

العلامة الثالثة: لا يشتكى الله إلى عباده:

أبدأ هنا وأقول: «من لا يعرف قدر النعمة لا يعرف قدر شكرها»، ومن ثم فإذا أصابه ابتلاء أو مشكلة ذهب يشتكى ربه لعبيده ويشتكى خالقه لخلقه.. فماذا فعل؟ وماذا جنى؟

ولهذا من نسى شكر النعمة واشتكى ربه للخلق مثله أن الله يرزقه ولا يشكره ويعطيه ولا يحمده فهو عبد سيئ الأدب مع ربه.. وهل يصح يا شباب أن العبد يسيء إلى من أحسن إليه!!!

العلامة الرابعة: لا يقـــارن:

إن الشاكر لا يقارن بينه وبين غيره إلا فى الشكر والطاعة.. ومن ثم فهو راض عن قضاء الله معه أعطاه أم حرمه.. أغناه أم أفقره، وهذا من شيم الشاكرين؛ ولذا حين نزل

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال عمر بن الخطاب: أي المال نتخذ؟! فقال ﷺ: «ليتخذ أحدكم لسانًا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة»(١).

العلامة الخامسة: اشكر من أسداك معروفا:

الزوجة تشكر زوجها:

تؤكد دراسة جديدة للبروفسور «تود كشدان» في جامعة جورج ماسون أن النساء اللواتي يشكرن أزواجهن يكنّ أكثر سعادة ويعشن عمرًا أطول!

وتؤكد الدراسة أن النساء أكثر قدرة على التعبير من الرجال، وأكثر قدرة على منح مشاعر الامتنان. وتقول الدراسة التي نشرت في مجلة الشخصية: إن المرأة يمكن أن تعيش حياة هانئة ومطمئنة بمجرد أن تقدم الشكر لزوجها.

سبحان الله، رسولنا الكريم لم يترك هذا الأمر جانبًا، بل نبَّه عليه قبل ١٤٠٠ سنة، فقد اعتبر النبي الكريم أن شكر المرأة لزوجها عبادة لله تعالى، وأن الله لا ينظر للمرأة التي تنكر الجميل، قال ﷺ: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه»(٢).

تصوروا، إن كلمات بسيطة تقولها لزوجتك كل يوم تشكرها وتشعرها بقيمة عملها وتقدر لها مجهودها في البيت وفي تربية الأولاد، هذه الكلمات قد تكون سببًا في درء الكثير من المشاكل وجلب الكثير من السعادة... إنها قوة الشكر!

العلامة السادسة: يتحلى بصفة الأنبياء

وأخبر سبحانه أنه إنما يعبده من شكره، ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة، وانظر صحيح الجامع رقم:٥٣٥٥.

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني.

وأثنى الله على رسله بهذه الصفة فقال عن نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

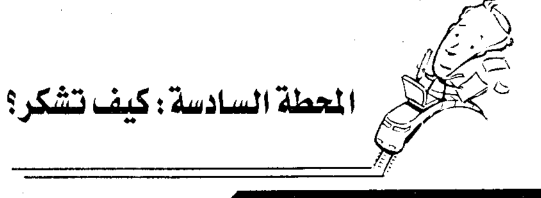
وأثنى على خليله بشكره نعمه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

- وجعل الله -عز وجل- أول وصية وصى بها الإنسان الشكر له وللوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

قال الحسن البصرى: «الخير الذي لا شر فيه: العافية مع الشكر، فكم من منعَم عليه غير شاكر».

وقال الفضيل بن عياض: «عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم».

* * *



المحطة السادسة: كيف تشكر؟

المطلب الأول: اعرف المطلوب:

قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ فقال: «إن رأيت بهما خيرًا أعلنته، وإن رأيت بهما شرًّا سترته».

قال: فما شكر الأذنين؟ قال: «إن سمعت بهما خيرًا وعيته، وإن سمعت بهما شرًّا دفعته».

قال: فما شكر اليدين؟ قال: «لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقًّا لله هو فيهما».

قال: ما شكر البطن؟ قال: «أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا».

قال: فما شكر الفرج؟ قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المعارج: ٢٩- ٣١].

قال: فما شكر الرِّجلين؟ قال: «إن علمتَ مَيْتًا تغبطه استعملتَ بهما عمله، وإن مَقَتَّهُ رغبتَ عن عمله وأنت شاكر لله، وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه، فما نفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر».

قال تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

المطلب الثاني: ابدأ يومك صح:

كان الحبيب ﷺ يبدأ يومه بقوله: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[1].

---

(١) صحيح: رواه البخارى عن أبى ذر الغفاري، انظر صحيح البخاري رقم: ٦٣٢٥.

بل ومن الآثار النبوية أن تردد هذا الذكر ثلاث مرات صباحًا وثلاث مساءً: «من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»[1].

المطلب الثالث: تأدية الفرائض:

قال ابن عيينة في تفسيرها: «من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله»

المطلب الرابع: سجدة شكر لله عند كل نعمة..

ويا حبذا لو قبل النوم كل يوم.

المطلب الخامس: اشكر اخر خمسة أشخاص قدموا لك خدمة:

قال الحبيب ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[2]. ومن هنا لا بد أن تنجز عملًا لغيرك من أهلك وأقاربك وأصحابك.. تعبر لهم عن امتنانك لهم، وتساعد أخاك على قضاء حاجة له أو تفرج عنه همًّا أو تيسر على معسر أو ترسم الابتسامة على وجهه أو تدخل السرور على قلب طفلك أو زوجتك أو أخيك أو أبيك.. فاكتب الآن خمسة أسماء ستشكرهم حالاً إما باتصال هاتفى أو رسالة رقيقة أو هدية بسيطة، وما أجمل أن تبدأ بأبيك وأمك!!

المطلب السادس: ورقة وقلم:

أحضر ورقة وقلمًا واكتب أكبر نعمة عندك وأقل نعمة، وانظر هل شكرت هذه أو تلك.. وما خطوتك القادمة لشكر النعم بإعطاء فقير أو كفالة يتيم أو...؟

* * *

---

(١) من حديث عبدالله بن غنام البياضي وقال الألباني ضعيف، انظر ضعيف أبي داود رقم: ٥٠٧٣.

(٢) رواه الترمذي.



هل تقدر قيمة المكافاة؟!

عن عبد الله بن أبي نوح قال: قال لي رجل على بعض السواحل: كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحب؟! قلت: ما أحصي ذلك كثرة..

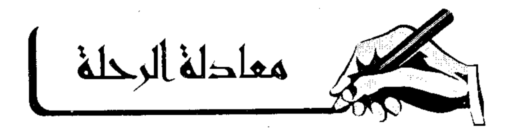
قال: فهل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك؟! قلت: لا والله ولكنه أحسن إلي فأعانني.

قال: فهل سألته شيئًا قط فأعطاك؟! قلت: وهل منعني شيئًا سألته، ما سألته شيئًا قط إلا أعطاني ولا استعنت به إلا أعانني..

قال: أرأيت لو أن ابن آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك؟!

قلت: ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء..

قال: «فربك أحق وأحرى أن بذلك نفسك له في أداء شكر نعمه عليك، وهو المحسن قديمًا وحديثًا إليك، والله لشكره أيسر من مكافأة عباده إنه تبارك وتعالى رضي بالحمد من العباد شكرًا»..



شكر باللسان + شكر بالقلب + شكر بالجوارح =
البركة + المزيد+ السعادة.





الرحلة الثالثة

سبحان ربي العظيم

ضربة البداية

هل تعرف الكرة الأرضية؟!

إذا أمسكنا بأيدينا الكرة الأرضية (الجغرافيا التي نتعلم عليها في المدارس والجامعات، وربما تكون قطعة ديكور فى منزلك).. ونظرة تأملية منك إلى هذه الكرة التي ترسم أمام عينيك العالم كله.. بكل ما فيه من قارات وبحار ومحيطات وأنهار.. ثم سل نفسك أين أنت الآن؟ فى بلدة كذا، وفى محافظة كذا، وفى دولة كذا.

قف مع نفسك وسلها:

ما حجمى؟ ما موقعي؟ أين مكانى ومكانتي؟

حتمًا ستجد الرد..

.. الصمت..

.. ولا رد..

ولا تستطيع إلا أن ينطق اللسان:

لا إله إلا الله.. سبحان الله.. سبحان ربي العظيم..

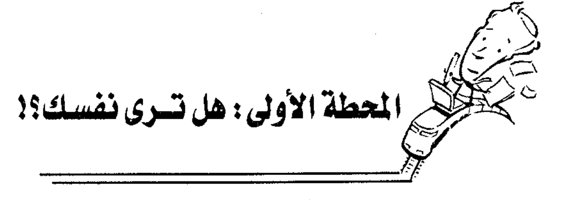
سبحان من تعاظم فى قدرته فلا تدرك عظمته العقول..

سبحان من لا يحصى عدد نعمائه العادون..

سبحان من لا يؤدى حق شكره الحامدون..

أخى: افتح بصيرة الاستبصار ترى دوران الفلك بإحكام حكمته.. والكواكب والشمس والنجوم والأرض كلها فى حركتها تسير بإرادته.. وحينها تعرف قدرك.. وقدر من خلقك؟!!

أما يكفيك أنك لا ترى خلف ظهرك!!.. ولا تقدر أن تقرأ غدًا ما يحصل فى عمرك!!.. فيكفيك شرفًا أن تكون عبدًا للعظيم الذى حارت من عظمته الأذهان والقلوب والعقول... وسبحان ربي العظيم..



المحطة الأولى: هل تـرى نفسك؟!

وتجربة عملية:

يا صاحبى: إذا قلت لنفسك ما مساحتى بالنسبة إلى مساحة الحجرة التي أنت فيها؟! وما حجم الغرفة بالنسبة إلى الشقة التى تسكن فيها؟! وما مساحة الشقة بالنسبة إلى العمارة؟! ثم نسبة العمارة للشارع ثم الشارع للحي ثم للمدينة ثم للمحافظة ثم للدولة.. ثم للقارة ثم للكرة الأرضية ثم للمجرة ثم للعالم أجمع.

هل استشعرت مدى عجزك وضعفك؟!..

وتعالوا نفهم ما معنى هذه المصطلحات التي تذكرها الألسن، ويعيشها القلب ليفهمها ويعيها ويصدق فى توحيده لله وحده لا شريك له.

مفاهيم:

التسبيح لغة: «تنزيه الله -عز وجل- من كل سوء، والتنزيه من كل نقص، وتنزيه الله من الصاحبة والولد، ومن كل ما لا ينبغى أن يوصف به».

واصطلاحًا كما قال ابن حجر: «تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص»..

مكانة التسبيح:

لفظ التسبيح ورد في القرآن حوالي ثلاثين مرة وله ثلاثون وجه.. ومكانة التسبيح عند الله -عز وجل- عظيمة، فتراها وتسمعها في المواقف التي يعجز الإنسان عن وصفها.. وجولة تفهم منها تسبيح الملائكة:

جولة مع الملائكة..

- الملائكة تصف عبادتها: ﴿وأنا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٦].
- الملائكة في حال الخضوع: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

- الملائكة مع الرعد: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣].
- الملائكة مع حملة العرش: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧].

وإطلالة أخرى....

- اقتران التسبيح بالسجود والعبادة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۞ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩].
- أثني الله على بعض الأقوام من المؤمنين الصالحين: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٥].
- والطيور: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١].

وهذه حقائق:

- في أعظم المعجزات التي حدثت مع الأنبياء.. حادثة الإسراء والمعراج حين بدأت سورة الإسراء بهذا التسبيح ليعبر عن عظم المعجزة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١]..
- وانظر لحال الملائكة حين أخبرهم الله بخلق آدم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ثم تمر الآيات بعد أن علم الله آدم الأسماء كلها.. وهي ما لا تستطيعه الملائكة، وحين أحسوا بذلك قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾..
- وصورة النصر تقول لي ولك: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ١-٣].
- التأمل فى خلق السماوات والأرض: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].





المحطة الثانية : هل نُقَدِّر الله حق قدرة؟!

وما قدروا الله حق قدره:

قال الله عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]..

«وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أي: ما عظّموه حقَّ تعظيمه.

إنه ربنا العظيم الذى كل يوم هو في شأن.. يزيد رزقًا.. يمنح جودًا.. يغفر ذنبًا.. يفرّج كربًا.. يحيى ميتًا.. يميت حيًّا.. يجيب مضطرًا.. يشفي عليلاً.. يهدى أناسًا.. يعز مسلمًا.. يذل كافرًا..

سمع نداء يونس في الظلمات فنجاه من الغم..

ما أعظم والله حق تعظيمه، لأنهم تعاظموا وتكبروا وتجبروا، ورأى نفسه صاحب كذا.. والعبقرى كذا.. والأستاذ كذا.. فهو الحقيق بأن تذل لعظمته.. وانظر إلى نفوذ أمر الله في ملكوته الواسع، وعظمته التى شملت كل ما ترى وما لا ترى..

استجاب لزكريا فوهبه على الكبر يحيى..
ألان الحديد لداود..
وسخر الريح لسليمان..
وفلق البحر لموسى..
جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم..

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

[الأنعام: ٥٩].

.. فسبحانك ما عرفناك حق معرفتك..

.. وما قدرناك حق قدرك..

.. وما عظمناك حق عظمتك..

هيا نعيش القصة ونفهم عما نتكلم عنه:

أولاً: الله له وحده ربوبية الخلق والإيجاد والتدبير:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

والخالق: أن الله أوجد كل شيء من لا شيء، وعلى غير مثال سابق، والفرق كبير بين أن تصف الذي خلق السماوات والأرض بأنه خالقُ كلِّ شيء مِن لا شيء، وعلى غير مثال سابق، وبين إنسان صنع شيئًا مِن كل شيء، وعلى مثال سابق.

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

«لأن الخالق يمنعك من المخلوق، بينما المخلوق لا يمنعك من الخالق، والإنسان كما تعلمون في قبضة الله عز وجل، سمعك بيده، بصرك بيده، ضربات قلبك بيده، ذاكرتك بيده، حركتك بيده، مَن حولك بيده، مَن فوقك بيده، مَن دون بيده، إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله»..

نعم الله وحده هو المعبود الحق.. ولا معبود بحق إلا الله.. وهو الذي أوجدك من العدم ودبر لك أمورك وحياتك..

ثانيًا: ربوبية التعليم والإرشاد: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

ثالثًا: ربوبية التسخير: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

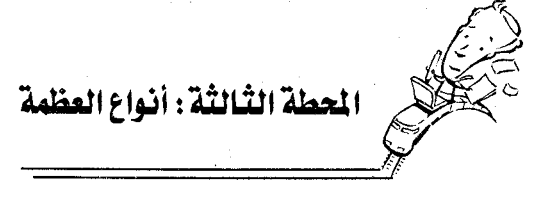
رابعًا: ربوبية التكريم والاستخلاف:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فهذا يقول لي ولك: لا بد من الاستسلام لله -عز وجل- وتعظيمه.. ولنتأمل موقف سيدنا موسى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ قال تعالى: ﴿انْظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وأنا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .. انظر لهذه العظمة،.. وتعالوا نرَ أنواع العظمة التي تظهر لنا في كل شيء..

وهذا حالنا لما غفلنا عن العظيم:

- هان علينا أمره فعصيناه... وهان علينا نهيه فارتكبناه.
- هان علينا حقه فضيعناه.. وذكره فأهملناه.
- تأثرنا بقوة المخلوق وخفنا الخلق أكثر من الخالق.
- نطرق باب الخلق وهم لا يمتلكون شيئًا ولا نترك باب الله وهو الخالق العظيم.
- أعرضنا عنه ولم ننل السعادة والطمأنينة وراحة البال.
- ظننا أن الهم أكبر منا فقلنا: «يا رب عندي هم عظيم» ونسي البعض أن نقول: «يا هم عندي رب عظيم».



المحطة الثالثة: أنواع العظمة

- **مع الملائكة وسيدنا آدم:**

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال أهل العلم: «إني جاعل في الأرض قومًا يخلف بعضهم بعضًا لعمارتها؛ قالت: يا ربَّنا علِّمْنا وأَرْشِدْنا ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أنَّ من شأنهم الإفساد في الأرض وإراقة الدماء ظلمًا وعدوانًا ونحن طوع أمرك، ننزِّهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونمجِّدك بكل صفات الكمال والجلال؟ قال الله لهم: إني أعلم ما لا تعلمون من الحكمة البالغة في خلقهم.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

وبيأنا لفضل آدم عليه السلام علَّمه الله أسماء الأشياء كلها، ثم عرض مسمياتها على الملائكة قائلاً لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات، إن كنتم صادقين في أنكم أَوْلى بالاستخلاف في الأرض منهم.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أنت الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

قالت الملائكة: ننزِّهك يا ربَّنا، ليس لنا علم إلا ما علَّمتنا إياه. إنك أنت وحدك العليم بشئون خلقك، الحكيم في تدبيرك».

فمهما كان علمك.. ومهما فعلت من إنجازات وأفكار.. فاعرف أنك لست عظيمًا بل الله هو الأعظم.

- **مع إبراهيم** ﷺ:

حين كان مع زوجته السيدة هاجر (أم إسماعيل) في صحراء جرداء.. بلا زرع ولا ماء..

فتسأله: «يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس ولا جن»..

قالت ذلك مرارًا؛ لم يلتفت إليها.

فقالت: «الله الذي أمرك بهذا»..

قال: نعم..

قالت: «إذن لن يضيعنا» (البخاري)..

ليس صعبًا:

يا صاحبى: لا تستصعب طريق الصادقين.. فما أقربها من دار.. ولا تستعجب الحال فالقلب حين يعرف قدر العظيم يكون فى أجمل حال.. ومن توفيق الله ينبع أصح قرار.. طالما المغيث يغيث.. والمعين يعين..

لا تضيق من نفسك.. فنفحة الإيمان حين تهب على القلب يتبدل الحال ويتحسن الأمر وتستقر الحياة.. فتأخذ الدنيا فى الهروب والمعاصى تندم عليها وتتوب..

فيا صاحبي: تعرض لمن أعطاهم.. وسل فمولاك مولاهم..

وأحيأنا يضيق الله عليك ليرى عبوديتك ويقينك وحسن ظنك فيه عز وجل.. والآن انظر لمكة وماء زمزم.. سبحان من أوجد الناس فى مكة.. والتفت قلوبهم حول الكعبة.. تلك هى دعوة إبراهيم وثقته فى ربه العظيم..

- **مع إدريس** ﷺ:

كان إدريس خياطًا؛ وكلما أدخل الإبرة وأخرجها يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر..

فقال الله له: «يا إدريس وعزتي وجلالي لأرفعنك مكأنا عليًّا»..

قال: «يا رب لماذا وأنا مذنب؟!»

قال: «إنه يرفع عملك مع عمل أهل الدنيا.. فتفوقهم بالتسبيح والتهليل»..

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

- **مملكة النحل:**

قال ﷺ: «قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء؛ فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه، أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله»(١).

- **مع نوح:**

حين قال الله على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۞ مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ٥- ١٤].

راح نوح يواصل جهوده الشاقة ودعوته الخالصة الكريمة سعيًا على هداية قومه، ورغم ما لاقاه من إعراضهم واستكبارهم واستهزائهم (ألف سنة إلا خمسين عامًا).

درجة الإعراض والإصرار على الضلال ترتفع وتزداد! ومعدل الهداية لا يتعدى الأصابع!!

فليس له إلا اللجوء إلى الله وحده...

فروا هربًا.. وتحركوا بعيدًا عن سبيل يوصل إلى الله ربهم الذى هو مصدر النعم والآلاء، ومصدر الهدى والنور، ومصدر الحياة والسرور..

ثم تأتى عظمة الله فى كلام نبيه نوح.. حين طرق آذانهم وقال: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ

---

(١) صحيح: من حديث أبى هريرة؛ انظر صحيح الجامع للألبانى رقم: ٤٣٨٨.

وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣، ١٤].

وكانت المفاجأة أن تكون هناك سفينة.. نعم.. سفينة في الصحراء!! وتنقلب الصحراء إلى بحر خضم ثم ينجو من آمن منهم بالله.. ويا لها من عظمة.. ما تنبغى إلا للعظيم..

• **مع الحبيب ﷺ في الإسراء والمعراج:**

اسمع قوله تعالى: ﴿لَقَد تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ فيقول العلماء والمفسرون: «إنها خاصة بالرسول الله ﷺ، حيث كلما عرف جانبًا من عظمة الله استحيا من المعرفة السابقة (رأى أنه أذنب في حق الله حينما عرفه أقل مما ينبغى)».

واضرب مثالاً نوضح من خلاله الفكرة وفقط..

لو ضربنا مثالاً لشخص يركب سيارة عادية يخوض في وصفها وحلاوتها وإمكانياتها.. ثم في اليوم التالي يركب سيارة أخرى أعلى إمكانيات فيتغير الوصف والكلام.. ثم يركب سيارة فخمة فارهة جدًّا فيكون كلامه مختلفًا تمامًا وكأنه لم يركب سيارة قبلها..

أفهمت أم أشرح لك؟!

• **مع موسى عليه السلام:**

حين ضرب قوم موسى العطش وهم في الصحراء، وأرداوا الشرب وليس هناك نقطة ماء واحدة.. ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

قال وهب: «لم يكن حجرًا معينًا بل كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيونًا».

والاستسقاء إنما يكون عند عدم الماء وحبس القطر.. وإذا كان كذلك فالحكم حينئذٍ

إظهار العبودية والفقر والمسكنة والذلة مع التوبة الصادقة .. ولكل سبط (الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب) منهم عين قد عرفها لا يشرب من غيرها.

فتظهر عظمة الله، أن يضرب موسى بعصاه الحجر لتكون اثنتي عشرة عينًا.. وكل يعلم مشربه.. حتى لا يتزاحموا أو يتدافعوا..

ثم ينعكس الأمر وتنقلب الآية..

مع فرعون حين أدرك موسى وقومه؛ فيكون أمر الله موسى بضرب البحر بنفس العصا هو سبب النجاة الوحيد.. فيصير البحر صخرًا!!..

فسبحان الله

الصخر يصبح بحرًا!!..

البحر يصبح صخرًا!!..

سبحان ربى العظيم

ودعنى أهمس فى آذانكم:

صديقى العزيز: حين ترى الالتزام صعبًا.. والذهاب إلى المسجد ثقيلاً على النفس..

أختاه الغالية: حين تنظرين إلى الحجاب إلى أنه شيء صعب.. والالتزام بالزى الأنيق ولكن لا يشف ولا يصف ولا يجسد.. أمر عسير..

هنا أناديكم:

أجمل الطريق أن تسير ودليلك حب الله..

أحلى الحياة أن يعيش قلبك مع الله..

لا تحسب الأمر صعبًا أو عسيرًا.. إنها خطوة بدايتها القلب ونهايتها الجنة إن شاء الله.. وحين تذوق حلاوة الإيمان وثمرة الالتزام... ستتغير الدنيا من حولك.. وانظر إلى حال قلبك وسعادته.. وتأمل حال حياتك ونجاحها.. وجرب ما أقول وسترى النتائج واقعًا رأى العين..

ثمن المعالى وقوة الإيمان الجدية فى الطلب.. والفتور عن الطاعة داء مزمن.. وأتمنى أن لا تكون سحابة الصيف أثبت من قولك.. ولتكن من الآن بداية جديدة وعهداً من جديد.. ألا توافقنى؟!

• مع داود عليه السلام:

قال الله تعالى لداود عليه السلام: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

أي: «يا جبال سبحي مع داود النهار كله إلى الليل»..

• مع يونس:

﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]. هذا هو رصيدك عند الله (انظر إلى الرحلة الأولى).

• مع سليمان:

وهو راكب الريح مر أمام فلاح في مزرعته؛ فأعجبه المنظر فقال الفلاح: سبحان الله لقد أوتي آل داود ملكًا عظيمًا..

فسمعها سليمان وقال له: « سبحان الله خير مما أوتي آل داود»..

يا صاح:

متى تبت وسبحت بلسانك.. ولكن ما حللت عقدة الإصرار من قلبك..

متى نويت واقتربت.. ثم صحبة أو سيجارة أو شهوة أوقعتك فى مرارة الذنب ثانية.

متى أعلنتِ أن ترتدي حجابك.. ثم همزت صاحبة أو لمزت صديقة بأن جمالك سيزول وجاذبيتك ستتلاشى.. فكان ترددك معناه أنه لا حجاب..

يا شباب:

ما أحلى أن نأخذ خطوة جميعًا.. ولتكن الآن أن نفتح المصحف ونقرأ معًا «سورة التحريم»..

- إسرافيل:

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما الصور؟

فقال ﷺ: «قرنٌ ينفخ فيه».

والقرن هو البوق، والنافخ هو إسرافيل باتفاق الأمة، يأمر الله إسرافيل أن ينفخ في الصور.. ولقد اختلف أهل العلم، فمنهم من قال: إن إسرافيل ينفخ في الصور نفختين.

ومنهم من قال: إن إسرافيل ينفخ في الصور ثلاث مرات، ووقف بعضهم وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية.

بنفخة منه يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله.. ثم بنفخه أخرى يحيا كل شيء» واقع الأمة وموقفها من دينها وعقيدتها.

وكما قال أهل العلم: «هذه قوة نفخة واحدة فكيف بقوة بدنه؟! »..

وكيف بالله القادر العظيم؟!!

- لا تنس هذا الموقف!!

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر: ٦٨].

قالت السيدة عائشة: «إن أول ما نزل من القرآن سور تذكر الجنة والنار، ولو قال الله عز وجل: لا تزنوا، لا تشربوا الخمر، لقالوا: لن ندع الزنا ولن ندع الخمر أبدًا ».

قال ﷺ « ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر -أي: العبد - أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم.

ستعرض على الله جل وعلا، فهل فكرت في هذا الموعد؟! هل أعددت لهذا اللقاء؟!

وهذا مثال ضربه أحد مشايخي وتعلمته منه: «كيف يكون حالك إذا عُدت الليلة إلى دارك فرأيت خطابًا من قاضٍ من قضاة الدنيا يأمرك فيه بالمثول بين يديه في الصباح الباكر، أتحداك أن تنام الليل، مع أنك ستقف أمام عبد فقير حقير»..

كم عمرك؟!!

لقى الفضيل بن عياض رجلًا، فقال له الفضيل: كم عمرك؟ قال: ستون سنة..

قال الفضيل: إذًا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله توشك أن تصل.

فقال الرجل: أنا لله وأنا إليه راجعون!

فقال الفضيل: هل عرفت معناها؟

قال: نعم، عرفت أني لله عبد وأني إليه راجع.

فقال الفضيل: يا أخي! إن من عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع عرف أنه موقوف بين يديه، ومن عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول.. ومن عرف أنه مسئول فليعد للسؤال جوابًا.

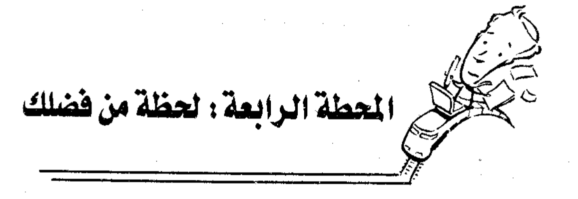
فبكى الرجل وقال: يا فضيل! وما الحيلة؟

قال الفضيل: يسيرة.

قال: ما هي يرحمك الله؟

قال: «اتقِ الله فيما بقي من عمرك، يغفر لك الله ما قد مضى، وما قد بقي من عمرك».

تذكر وقوفك يوم الحشر عريانا ... مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيض ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته أقررت ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المشركون غدًا في النار يلتهبون ... والمخلصون بدار الخلد سكانا



المحطة الرابعة: لحظة من فضلك

كل لحظة..

حبيب رسول الله: كل لحظة تأمل رياحًا تهب، تحمل سحابًا ثم أمطارًا من السماء.. فلماذا هذه الأمطار عندك أنت أمطار وليست هناك أمطار؟! أو العكس.. لأن لهذا الكون مدبرًا وخالقًا.

انظر للأشجار والثمار.. وهذه الشجرة لها ثمرة ناضجة.. وأخرى يبست؛ وثالثه لا تطرح ثمارًا.. ورابعة قطعها أفضل.. وهكذا..

انظر إلى الأولاد الصغار حين يولدون من يرعاهم ويحرسهم ويحفظهم.. ثم انظر إلى عمرك الآن وكيف مضى.. وما هو سيكون؟!

قل الآن: سبحان ربى العظيم..

كن كالبذرة:

البذرة المدفونة تأخذ غذاءها من التربة، وما إن تتهيأ البذرة للنضج.. وتعلن الظهور على وجه الأرض.. يكون هنا الاختبار.. هل ستثبت وتتحمل الهواء والرياح والعواصف.. أم مع أول نسمة هواء تسقط على الأرض؟!..

من ثبتت قد صبرت على هذا الدفن تحت الأرض.. فما زادها ظهورها فوق الأرض إلا ثباتًا واستقرارًا وإثباتًا للوجود..

وأنتم يا شباب:

هذا مثال المسلم الذي يعرف الله ويدرك عظمته ويتعبد له وحده.. حين يظهر في عمله يحبه الناس.. وفي كل مكان يلتف الناس حوله.. ليستفيدوا من علمه ودعوته؛ ويتعلموا من أخلاقه وسلوكه.. وإذا واجهته شدة، أو صادمة بلاء، أو سخرية أصدقاء،

أو استهزاء أصحاب.. يصمد ويعلم أن الله العظيم معه بقدرته وقوته وعظمته..

اختبار لحالتك الإيمانية الآن:

يا صديقى: عندما تكون موجودًا في بيتك.. فأنت لا تعلم ما يحدث خارج البيت.. ولا ما يدور فى الشارع.. ولا ما يحدث فى المدينة .. هنا تعلم أن الله عظيم في وجوده.. عظيم في علمه.. عظيم في ملكه..

قال تعالى: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني، ثم أعطيت كل إنسان منهم ما سأل لم ينقص ذلك من ملكي شيئًا إلا كما ينقص البحر يغمس فيه المخيط غمسة واحدة.. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلو يلومن إلا نفسه»[1].

قواعد:

- إذا كان الله معك فمن عليك؟
- إذا كان الله عليك فمن يكون معك؟
- ماذا فقد من وجه الله؟
- ماذا وجد من فقد الله؟

ولحظة أخرى من فضلك..

نفخة الفزع:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾.

هذه هي نفخة الفزع التي تحول هذا الكون كله إلى كون انقلبت كل ذراته؛ انقلب كل كيانه، وتحول هذا الكون كله إلى كون آخر: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

(١) صحيح: رواه مسلم عن أبى ذر الغفارى، انظر صحيح مسلم رقم ٢٥٧٧.

نفخة الصعق:

بعد هذه النفخة يأمر الله -جل وعلا- إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق (أي: الموت)، فيموت كل حي على ظهر هذه الأرض، بل ويموت أهل السماء إلا من شاء الله، ومن أهل العلم من قال: يستثنى جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت وحملة العرش..

يقول تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

نفخة البعث:

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾.

يقول ابن مسعود: «يبعث الناس يوم القيامة ومنهم من يكون نوره كالجبل، ومنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يكون نوره كالرجل القائم، ومنهم من يكون نوره على إبهامه يوقد مرة ويطفأ مرة، ومنهم من تحيط الظلمة به من كل ناحية» (رواه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين وتعقب الحاكم الذهبي فقال: بل هو صحيح على شرط البخاري).

يخرج الجميع حفاة عراة غُرلًا، ليعرض الجميع على الله جل وعلا؛ ليكلمك الله.. قال ﷺ: «يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع رب العزة عليه كنفه (هو الستر والرحمة) يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع رب العزة عليه كنفه، ويقرره بذنوبه فيقول: لقد عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فيقول المؤمن: رب أعرف، رب أعرف، فيقول له الله جل وعلا: ولكني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ويعطيه صحيفة حسناته»(١).

ستعرضون على الله جل وعلا: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۞ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۞ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣- ٩٥].

هل نؤمن بالله العظيم:

هل تعلم أن إبليس لم يؤمن بالله العظيم وتعامل مع ربه بسوء أدب ﴿رَبِّ بِمَا

---

(١) صحيح: رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر، وانظر صحيح ابن ماجة رقم: ١٥٢.

أَغْوَيْتَنِي﴾ ، وكذلك العبد العاصي الذي يكون مصيره العذاب والنار «لماذا؟». ﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾ ، فهذا سبب من أسباب التعذيب لأنه لم يعرف من هو العظيم ولم يتذلل له وينكسر بين يديه..

قال أهل العلم : «غالب الظنِّ أنَّه كان يؤمن بالله، و لكن، بالله العظيم، فما عظَّم الله وما عظَّم أمره، فما أطاعه، فاستحقَّ النار، فكأنَّ التركيز على الإيمان بالله العظيم، الذي يحتاج إلى معرفة خلقه.

يمكن أن نقول : فلانٌ عظيمٌ في العلم، أي يتمتَّع بعلم غزير، ونقول فلانٌ عظيمٌ في المال، وقد نقول عظيمُ القرية أي سيِّدها، والعظيم مشتقٌّ من العظم.. والعَظْمُ؛ هو الضخامة والعزُّ والمجد والكبرياء.. الشيءُ العظيم أي الشيءُ القوي، الشيءُ الضخم، الشيءُ العزيز، الشيءُ الماجد، ذو الكبرياء.

أما إذا قلنا : إنَّ الله سبحانه وتعالى عظيم، فمعنى ذلك: أنه عظيمٌ في وجوده.. المخلوقات موجودة، والبحر موجود، والإنسان كذلك موجودٌ، والحيوأنات موجودة، والنبات موجود، لكن هذه الموجودات جميعًا سبقها عدم، وسوف تنتهي إلى عدم..

أما إذا قلنا: إنَّ الله عظيمٌ في وجوده؛ أي؛ وجوده أزليٌّ أبديٌّ، لا شيء قبله، ولا شيء بعده، هو الحيُّ الباقي على الدوام.

عظيمٌ في قدرته، فمثلاً بحسب علم الأطبّاء يقال لك: هذا مرضٌ عضال لا شفاء منه. الإنسان أحيانًا يتوجَّه إلى الله عزَّ وجلَّ بالدعاء؛ فتقف هذه الخلايا التي تنمو نموًّا عشوائيًّا، وينحسر المرض، ويظهر الله آياته.. عظيمٌ في قدرته.. عظيمٌ في قهره؛! سبحان من قهر عباده بالموت، قهر الجبابرة، قهر الطغاة، قهر الذين نازعوه الكبرياء والعظمة.

الله عظيمٌ في وجوده، عظيمٌ في علمه، عظيمٌ في قدرته، عظيمٌ في قهره، عظيمٌ في سلطانه، عظيمٌ في نفاذ حكمه.. قد يتمنّى الإنسان – مثلاً– مئات الحاجات والأشياء فلا تتحقق، ولكنَّ الله –سبحانه وتعالى– فعالٌ لما يريد، إذا أراد شيئًا يقول: كن فيكون.. كلُّ

شيءٍ وقع أراده الله، كلُّ شيءٍ أراده الله وقع، وأشدُّ الناس خسارةً من ربط مصيره بمصير إنسان، لأنَّ هذا الإنسان لا يملك له نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، ولا رِزقًا ولا عطاءً ولا حرمانًا.

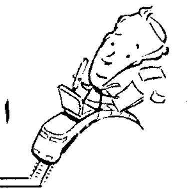
الله لأن يلقوا الله بخيانتهم، أهون من أن ألقى الله بدمائهم، هل أنا لك حصنٌ من عذاب الله؟

قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٣].

يا ترى لِـمَ استحقَّ النار؟ لأنَّه ما آمن بالله العظيم؟

إنّ الجواب الشافي أنّه حينما لم يؤمن بالله العظيم فقد هان أمر الله عليه، وعصى أمر ربِّه العظيم، استحقَّ النار على معصية، وعلى عدوان، وعلى انحراف، وعلى إغواء، فإن لم تؤمن بالله العظيم، فلن تطيع الله عزَّ وجلَّ، فالعذاب في النار على المعاصي والآثام، وعلى البغي والعدوان، وهذه نتيجة جهل الإنسان قدْر ربّه».

* * *



المحطة الخامسة: علامات تعظيم العبد لله

العلامة الأولى: تعظيم كل ما شرعه الله:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

ومن هذا التعظيم..

أن تؤدي فروض الله عليك من صلاة وزكاة وصيام.. وبالنسبة إليك أختي الكريمة أن ترتدي حجابك، وتكون ملابسك غير ضيقة ولا تصف ولا تشف.. وفعل ما أمر الله به لأن هذا من علامات تعظيمك لله عز وجل؛ دون تردد أو خوف أو استسلام لاستهزاء أو سخرية..

فالأجمل أن تكون عبدًا بحق للعظيم في كل حياتك، وفى شتى حالاتك.. يعزك بعزته، وينصرك بقدرته.. وكن مع العابدين الذين أن نطقوا فبذكره، وإن تحركوا فبأمره؛ وإن فرحوا فلقربه.. وكلمة للذكرى أقولها لك: «هان سهر الحراس لما علموا أن اصواتهم بسمع الملك».

العلامة الثانية: ألا يعترض:

ولأنك عبد عند العظيم.. فإن أوامر العظيم كلها تعظم، نعم تعظم؛ أى تنفذ وتكون رهن السمع والطاعة.. ولا يحق لعبد أن يعترض على أمر سيده ومولاه.. أو يتبرم لأمر فيه تضييق عليه.. أو يضيق صدرًا لظروف تعرض لها.. لأن كل أوامر الله لك وفعله معك.. إنما هو رحمة الله العظيم بك وعلمه بحالك.. وما يصلح لك قلبك وحياتك.. ومهما حلا طعم المعصية فهو مر.. ودومًا الاعتراض على قضاء الله وقدره لا ينفع بل يضر..

العلامة الثالثة: اعرف وزنك ولا تتكبر:

من علامات تعظيمك أخي الحبيب لربك.. ومن تعظيمك أختي الغالية.. أن يعرف

كل واحد منا قدره ووزنه عند الله..

بمعنى: زن نفسك بميزان الصالحين.. انظر إلى حسناتك وسيئاتك.. ألقِ نظرة على أصحابك.. لا تقل أنا أحسن من غيرى.. وفلان يفعل الكبائر وأنا أفعل أقل منه.. ما هكذا تقاس الأمور أو توزن الأمور..

«لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت»

يا شباب:

الكل مرهون بما قدم.. والكل تحت السمع والبصر.. فلا تتكبر يا صديقي ولا تعظم نفسك لمالك أو لأسرتك أو لمنصبك أو لوجاهتك.. تنبه ترى الدنيا أحلى ما كانت أحلامًا.. ولكن سرعان ما ينكس الموت فيها أعلامًا.. اعرف قدرك بقدر طاعتك وبقوة عبادتك وبحسن أخلاقك وكما قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾

أي: لا نثقل موازينهم؛ لأنها خالية عن الخير.

قال رسول الله ﷺ: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزنُ عند الله جناح بعوضة، اقرءوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»[١].

العلامة الرابعة: اعرف أنك عبد ذليل فقير:

قال ﷺ: «يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، من نازعني واحدًا منهما ألقيته في جهنم»[٢].

يا صاحبي:

كلما ازددت افتقارًا زادك الله عزة وعظمة، وانظر للحبيب ﷺ كان أعبد البشر لله وأذل البشر لله وأفقر البشر لله؛ فصار أعظم البشر، فأقسم الله بعمره ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

---

(١) رواه عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجة عن أبى هريرة، وقال الألبانى: صحيح، انظر صحيح ابن ماجة رقم: ٣٣٨٣.

الاستسلام الكامل له حتى تنجو...

قال رسول الله ﷺ :«يطوي الله -عز وجل- السماوات يوم القيامة، ثُم يأخذهن بيده اليمْي، ثُم يقول: أنا الملك أَين الجبارون؟! أين المتكبرون؟! ثُم يطوي الأرضين بشماله، ثُم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟!»[١].

قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله -تبارك وتعالى- الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثُم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض ؟»[٢].

أن تشعر بالفناء وعدم البقاء «إنه ليدخل البيت المعمور في السماء السابعة كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى قيام الساعة»[٣].

العلامة الخامسة : الإكثار من التسبيح:

قال ﷺ: «أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس»[٤].

- فمن تعظيم الله طاعته.
- ومن تعظيم الرسول اتباعه.
- ومن تعظيم القرآن قراءته وتدبره والعمل به.
- ومن تعظيم الإسلام العمل بمنهجه.

* * *

(١) رواه مسلم عن عبد اللهّ بن عمر انظر صحيح مسلم رقم: ٢٧٨٨.
(٢) رواه مسلم عن ابى هريرة انظر صحيح مسلم رقم: ٢٧٨٧.
(٣) صحيح: انظر مسلم.
(٤) رواه مسلم عن جابر.



كم تساوي في ملك الله ؟

قال ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة»[(١)].

قال ﷺ: «وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»[(٢)].

قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟».

قلنا: الله ورسوله أعلم..

قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»[(٣)].

---

(١) صحيح.

(٢) صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود وغيره عن العباس بن عبد المطلب.



١ - أكثر التسبيح:

عن أبي ذر رضي الله عنه: أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم؛ قال: «أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدّقون؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة.، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة»[1].

٢ - التفكر يوميًا ولو دقائق.

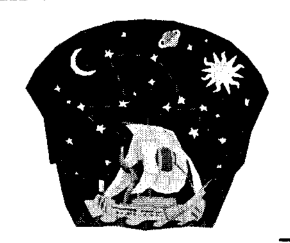
٣- البحث عن سنة مهجورة ثم الزمها.

٤ - طاعة الله في كل أمره ونهيه.

قال ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأتِهِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد»[2].



تسبيح + تفكر + تذلل لله +تقديم الطاعة عن المعصية = تقدير الله حق قدره.

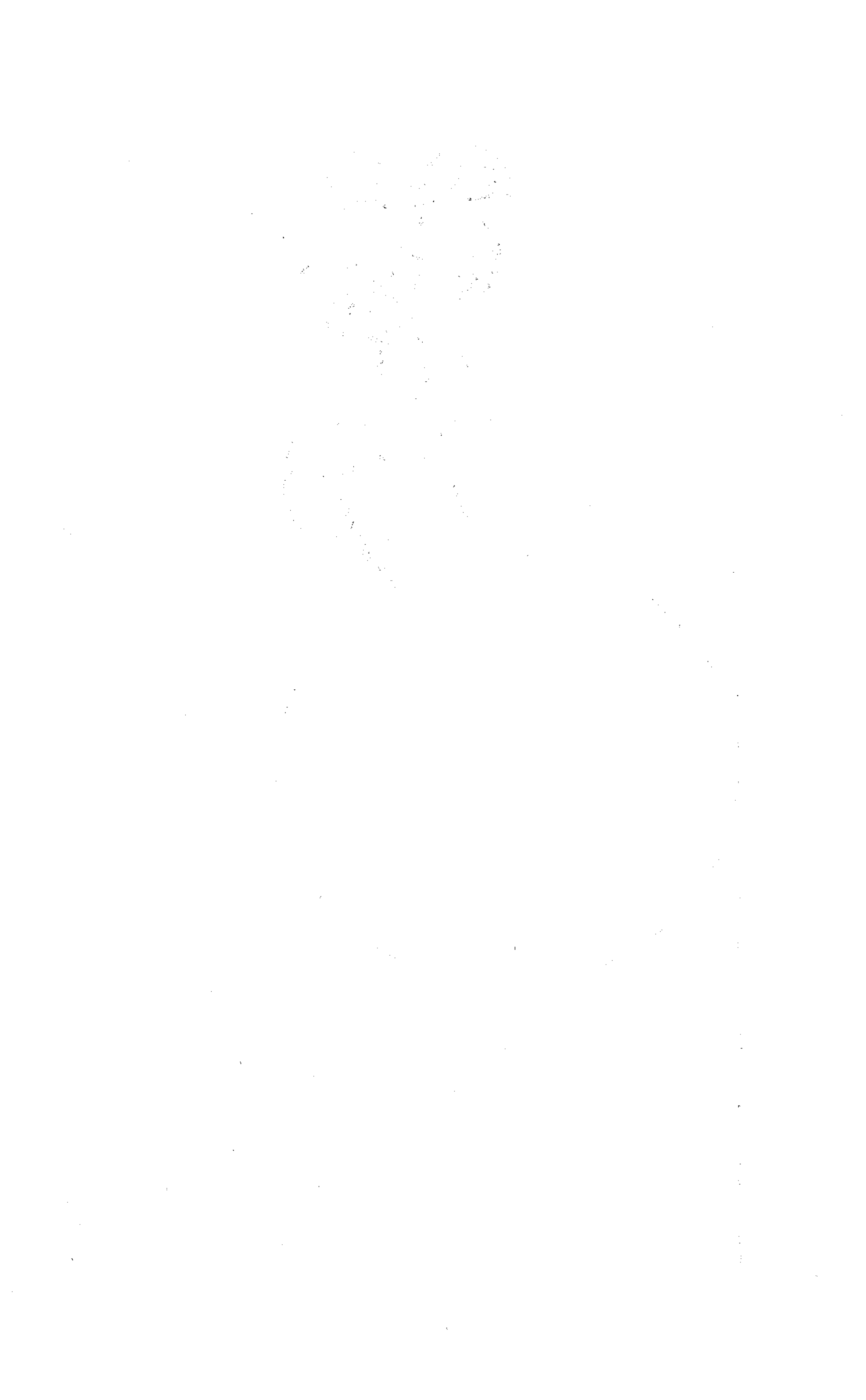


(١) صحيح: انظر مسلم.
(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة.



الرحلة الرابعة

حسن الظن بالله



ضربة البداية

لأن يد الغفلة امتدت.. والشياطين للقلوب تسلك.. تاهت النفس وفسدت الروح واحتار العقل.. طرق الدنيا مكتظة بالأموال والشهوات.. وغاصت في أوحالها..

عندما.. لا تجد في نفسك ميلًا لربك أو حبًا لنبيك.. أو تلهفًا لقراءة بعض الآيات، أو شوقًا لبعض السجدات في المحراب.

عندما.. لا تجد نفسك تستمع لموعظة إلا وتنفر.. ولا لكلمة طيبة إلا وتتأفف.. ولا لنصيحة إلا وتتعنت وتتكبر.

عندما.. يدق الناس بابك لتقبل على ربك.. ولا تزال تعاند نفسك وتصر على الذنب والغفلة والهلاك والعذاب فى دربك.

عندما.. تجد قلبك قاسيًا يائسًا حزينًا فتبكي ولا تجد من يكفكف دمعك الحزين.. أو يداوى جرحك الأليم.

عندما. تتحاور مع نفسك وتعزم عزمه قوية على ولوج باب الجنة.. فتتوقف لضعف الإرادة أو لموت الهمة أو لقهر الصحبة أو لسيطرة الشهوة أو لاستهزاء أقارب أو خوف على الوضع العام.

عندما.. تكون إنسأنا مصليًا صائمًا قائمًا ساجدًا عابدًا، ثم تفقد حلاوة إيمانك قطرة بعد قطرة.. وتذبل زهرة عزماتك مرة تلو مرة.

عندما.. تتدافع كل تلك الظروف.. وبات القلب حينها يشكو الري بعد الظمأ، والروح تناجي الغذاء بعد الجوع..

أقف لأخبرك بحبي لك.. وحب نبيك لك.. وحب ربك لك.. واشتياق الجنة لك.. ودعوات الملائكة لك.. حتى ينبث لقلبك المكدود وميض أمل وسراج فرحة وشعلة

حماس..أنا أحسن الظن بربي ..

ولأن المعني يحتاج إلى كلام، والسلعة لها ضريبة، فأناشدك أن تمر على تلك الكلمات بعين العقل..وسوف ترى الفارق؟!

فابشر أخأنا.. وابشري أختنا..فربكم لا يزال يحبكم

أيها الشاردون عن الله آن لكم أن ترجعوا.. أيها الغافلون عن الآخرة آن لكم أن تنتبهوا..

أيها الناسون الموت آن لكم أن تدركوا.. أيها الهازلون آن لكم أن تجدوا..

أيها التائهون آن لكم أن تهدءوا..

يا أخأنا.. يا أختنا:

الباب مفتوح قبل أن يغلق والفرصة متاحة قبل أن تفوت وفى العمر بقية قبل أن تضيع..

قبل كل شيء..

يا أحباب رسول الله : ربما يفهم الإنسان أن أول خطوات الجنة وإطلاق صافرة العودة إلى الله هي «التوبة» ولكن أهمس بأذنك أن: مهلًا.. قف لحظات لأنك حينئذٍ تحتاج إلى مزيد من التوضيح.. إذ كيف تصح توبة من لا يحسن ظنه بمن يتوب إليه؟! وكيف يعشق الطاعة ويتذوق حلاوتها من لا يحسن الظن بصاحبها؟! وكيف يهجر شهوته ولذته ويخاصم أماكن لهوه من لا يحسن الظن بمن يأخذ بيده؟! وكيف يتأمل نعيم أهل الجنة ويتسلق فكره أنه من أهلها من لا يحسن الظن بخالقها؟!..

وأبرهن لك...

هناك : من يتوب ثم بعد أيام يردد كلمة ثقيلة وهو لها غير مدرك: «لقد تبت.. ولكن لا أدري أقبل الله مني توبتي أم لا؟! »..فإن قالها على سبيل التذلل لله لخوفه على توبته.. فهذا جميل.. أما إن قالها وهو بحق غير متيقن الذهن أن الله قد قبله.. فهذا سوء ظن بربه.. ومن ثم فارجع لتوبتك عقب تحسين ظنك بربك..

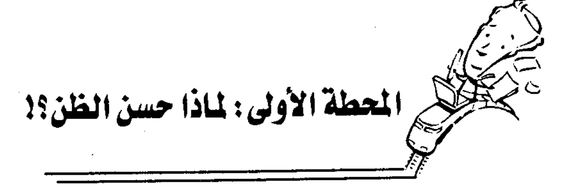
وثانٍ يقول: «لقد صليت وصمت وقمت ولا أدري ما فعل الله بي؟!» فإن فعلت ذلك للتذلل واستحقار العمل حتى يتفضل الله بالقبول.. فهذا أمر حسن.. أما إن قيلت وأنت غير موفور الثقة في ذلك.. فراجع نفسك..

وثالث ينادى: «دعوت ربي مرارًا وتكرارًا ولكن لا يستجيب لي »..فهل هذا حسن ظن بالله لتتنزل الاستجابة؟! والمريض يشتكى: أين الشفاء؟!..والأب ينادى: لا فائدة من الأولاد.. والشاب يهتف: ضعت والله ضعت فاقرءوا على روحى الفاتحة.. وتلاحقك الفتاة: لا تضيعوا وقتى ولا أضيع وقتكم.. والكثير والكثير؟!..

وهنا أناشدكم:

لا بد إذن من الفهم الصحيح وتعديل خط المسير.. أم ما رأيكم؟!.. وهل لكم أسهم من هذه الغنيمة الضائعة؟!

* * *



المحطة الأولى: لماذا حسن الظن؟!

عند ظن عبدي:

يقولﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[١].

سبحانك ربي .. ما كل هذا الحب؟! كلمات ربانية طرقت آذاننا مئات المرات.. ولكننا نأخذ النتائج دون ملاحظة قوية لبداية الكلمات أي لسبب هذه النتائج الربانية الجميلة.. أي أن الأساس «عند ظن عبدي بي».. فإن تحقق السبب أطلت البشريات «فإن ذكرني في نفسه و..و..» فكيف تفرح بأن الله يذكرك..وكيف يستشعر قلبك قربه وحبه.. وكيف تنغمر روحك في هذا الود العميق والحنان المتدفق دون ظن حسن به؟!..

توضيح مطلوب:

ويوضح الإمام القسطلاني: «إن ظن العبد أنى (الله) أقبل أعماله الصالحة وأثيبه عليها وأغفر له إن تاب فله ذلك مني، وإن ظن أني لا أفعل به ذلك فسيكون له ذلك فينبغي للمرء أن يكون موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له؛ لأنه وعده بذلك وهو لا يخلف الميعاد، أما ظن المغفرة مع الإصرار على المعصية فذلك الجهل والغرور»[٢]..

ويلاحقه الإمام الشوكاني: «إنه ترغيب من الله -عز وجل- لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسبها، فمن ظن به خيرًا أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه تفضلاته ونثر عليه محاسن كراماته وتوابع عطياته»[٣]..

---

(١) صحيح.. انظر حديث رقم ٨١٣٧ في صحيح الجامع الصغير.
(٢) الأحاديث القدسية ص٦٣.
(٣) تحفة الذاكرين ص٧.

ويضيف القاضي: «معناه: عند ظنه بالغفران له إذا استغفر؛ والقبول إذا تاب؛ والإجابة إذا دعا؛ والكفاية إذا طلب الكفاية»(١).

ويضع شوكة الميزان الحسن البصري: «إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن العاصي والفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل»(٢).

أعرفتم الفرق إذن؟!

رءوس أساءت الفهم:

ولكي لا تستند على حسن الظن أنه سعة المغفرة والرحمة والعفو، وأن رحمته سبقت غضبه وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو دون عمل.. فهذا فهم خاطئ!!

ونزيل الغشاوة العلامة لتعلم أن «حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه وحسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم أحسن الظن بعدها فهذا هو حسن الظن».

شرط التوفيق والراحة:

هذا فهمه ابن مسعودفتحرك لسان التأكيد: «والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه الله ظنه ذلك بأن الخير في يده»....

*** القدوة الحسنة ونحن..**

قال أبو أسامة سهل بن حنين: «دخلت أنا وعروة بن الزبيرعلى عائشة-رضي الله عنها- فقالت: لو رأيتما رسول الله ﷺ في مرض له وكانت عنده ستة دنانير أو سبعة دنانير، فأمرني رسول الله ﷺأن أفرقها فشغلني وجع رسول الله ﷺحتى عافاه الله ثم سألني عنها فقال: ما فعلت؟ أكنت أخرجت الستة دنانير؟ فقلت: لا والله، لقد شغلني

(١) شرح الأحاديث القدسية ص٦٦.
(٢) الزهد لأحمد ص٢٨٣.

وجعك، قالت: فدعا بها فوضعها في كفه فقال: ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده»..

سبحانك ربي..

يا أختنا.. يا أخانا: أأبصرتم حال من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟!.. فماذا عن حالك أنت؟! وقد أوغلت في عصيانه وأصبحت المعاصي تداعبك من كل جانب؟! وما ظن ربك بمن هو شارد عنه ومرتحل فيما يغضبه وزاهد فيما أتاه به رسوله ﷺ وليس للجنة في خريطة حياته متبع؟!.. ولذلك ناداه ابن القيم بأعلى صوته: «حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه».

* * *

المحطة الثانية: نماذج على الطريق

قاتل المائة:

قتل رجل مائة نفس ونحن على دراية بقصته.. بأن قتل تسعًا وتسعين نفسًا، ثم بحث عن التوبة فلم يأذن له من سُئل فأكمل به المائة!! وذهب لآخر فنصحه بهجر أرض السوء والإقبال على أرض الخير بمكان آخر، فأتاه حتفه أثناء الطريق، واختصمت ملائكة العذاب وملائكة الرحمة، فلم يقدم لنفسه حسنة بل قدم قتل مائة نفس، فكان الحكم إلى أى الأرضين أقرب؟! فقيست المسافة، فأمر الله الأرض الطيبة بالاقتراب والخبيثة بالابتعاد، فصافحته ملائكة الرحمة.. وهنا تحكى القصة عن التوبة ولكن السؤال: هل تاب الرجل؟! أم أنه لم ييأس ممن أقعد همته بأن ليس له توبة؟! ولكنه ظل يبحث عن مخرج حتى جاءته البشرى بأن الباب مفتوح، فهذا الرجل لديه حسن ظن بربه فاق كل الحدود أن الله سيقبله وسيتفضل عليه برحمته.. رغم ما حدث..

ويعلق الرافعى بقلمه البديع: «فهذا رجل لما مشى إلى الله حسبت له الخطوة الواحدة بل الشبر الواحد ولو أنه طوف بقدميه.. ولم يكن ذلك القلب لكن كالعظام المحمولة فى نعشه.. قبرها فى المشرق هو قبرها فى المغرب..وليس لها من الأرض ولا للأرض منها إلا معنى واحد لا يتغير.. هو أنه بجملته ميت وأنها بجملتها حفرة »..

وأنتم يا أحبابى.. لا تيأسوا ولا تقنطوا؛ لأن الرب رحيم غفور لطيف تواب.

أبشر.. غفر الله لك:

عن أبي أمامة أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أصبت حدًا فأقمه علي، فسكت عنه فأعاد الكلام ثلاثًا وأقيمت الصلاة.. فصلى النبي ﷺ بالناس ثم انصرف فتبعه الرجل وأعاد الكلام.. فقال له النبي ﷺ: «أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء» فقال: بلى يا رسول الله؛ قال: «ثم شهدت الصلاة

معنا» قال: نعم يا رسول الله.. فقال ﷺ: «فإن الله تعالى غفر لك حدك.. أو قال ذنبك»(١).

هيا إلى الجنة..

روى أن رجلين يوم القيامة يخرجان من النار فيقول الله تبارك وتعالى لهما «كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما» فيقولان: شر مقيل وأسوأ مصير.. فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج:١٠] فيأمر بردهما إلى النار، فأما أحدهما فيبادر إليها وأما الآخر فيتوقف.. فيقول الله للذي بادر: «ما حملك على ما صنعت؟» فيقول: عصيتك في الدنيا أفأعصيك في الآخرة.. ويقول للذي توقف: «ما حملك على ما صنعت؟» فيقول: حسن ظني بك؛ يارب حين أخرجتنى منها أن لا تعيدنى إليها..فيرحمهما ويأمر بهما إلى الجنة!!.

لمن ذا يا رب؟!

وفى مواعظ الأنبياء أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: «بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى وما يكابد المكابدون فى طلب مرضاتى، فكيف بهم إذا صاروا إلى دارى وتبحبحوا فى رياض رحمتى هنالك، فليبشر المصفون لله أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب.. أتراني أنسى لهم عملاً؟! فكيف وأنا ذو الفضل العظيم؟! أجود على المولين عنى فكيف بالمقبلين عليّ.. ولو رآنى عبادى يوم القيامة كيف أرفع قصورًا تحار فيها الأبصار فيسألون: لمن ذا؟! فأقول: لمن رهب منى ولم يجمع على نفسه معصيتى والقنوط من رحمتى وإني لمكافئ على المدح فامدحونى»(٢).

قد مضى في اللهو عمرى ... وتناهى فيه أمرى
كل يوم أنا رهن ... بين آثامى ووزرى
ويح قلبى من تناسيه ... مقامى يوم حشرى
واشتغالى عن خطايا ... أثقلت والله ظهرى

(١) صحيح.. رواه البخاري ومسلم.
(٢) إسناده حسن.

همم نكست والآن سترتفع:

يا أحباب رسول الله: هكذا كان حال من هام قلبه بحسن ظنه بربه.. فما حالك أنت؟!..

ربح القوم وأنت نائم، ورجعوا بالغنائم وأنت بالليل راقد وبالنهار هائم، نظروا في عواقب الأمور فقبروا أنفسهم قبل القبور.. وخرجوا من ظلام الغفلة إلى الهدى والنور.. فما أذلهم أو أقعدهم فتور ولا غرور.. عقولهم الحذر قد أذهلها.. وقلوبهم الفكر قد شغلها.. فهذا يعاتب نفسه على التقصير وآخر تعلق همه بهول المصير، وذاك يخاف من ناقد بصير، وآخر يتعبد فيبكي على خوفه ويندب زمانه على ما قد مضى ويتأسف على حاله..

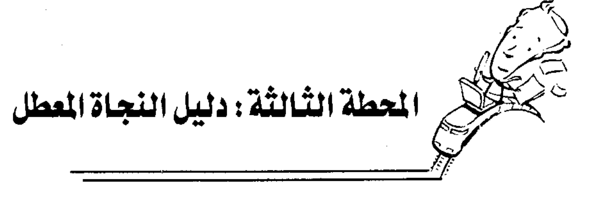
ولهذا كان عبد الله بن عمر في كل صباح يناجي ربه: «اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيبًا في كل خير تقسمه بالغداة، ونور تهدي به، ورحمة تنشرها، ورزق تبسطه، وضر تكشفه، وبلاء ترفعه، وفتنة تصرفها»..

قاعدة للحفظ..

«النعيم لا يدرك بالنعيم.. ومن آثر الراحة فاتته الراحة».

قاعدة رصّ حروفها بعناية شيخ الحكمة ابن الجوزي .. لأن السير المدلل والعزيمة الفاترة والمطية الكسول.. وتطليق الهمة ونكاح الترف والدعة.. هو الخسران بأم عينه، وزيارة ملك الموت لك واجبة ولا تكن إلا مرة واحدة ، فلا يغلق عليك بابك إلا وروحك بيده..

* * *



المحطة الثالثة: دليل النجاة المعطل

إرشادات على الطريق:

لأن حسن الظن بالله من علامات القبول ومفتاح خاص لعبور بوابة الجنة؛ لذا فلابد أن تحسن الظن بربك وأنت قادر وتتحرك وتأكل وتشرب.. كي لا تخذلك نفسك عند اللحظة الحاسمة حين تهمد اليدان وترتخي القدمان وتبرز العينان.. ولا حراك ولا كلام وفي وادٍ آخر.. لذا فاسع إليه من هنا ومن الآن.. وإلا..؟!

وارع انتباهك لنظرية الإمام القرطبي: «حسن الظن بالله تعالى ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له، وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل في قوله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي بي ما شاء» صحيح..

وصية العمر: إلا وهو يحسن الظن!!

قد يحسب المرء أن حسن الظن بالله مجرد فضيلة يتحلى بها أو كرامة يسعى إليها.. بل والأعجب أن تفهم أنه مجرد إحساس في الدنيا.. ولكن.. يصحح كل تلك المفاهيم ويعاين كل تلك المعايير صاحب القلب الرحيم والخلق العظيم محمدﷺ، وهو يوصيك وصية النجاة في برقية خاصة ومستعجلة: «لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى»(١).

أعلمت بخطورة الأمر وأهميته؛ لذا أكرر: اقرأ ثم افهم ثم اعمل..

ولا تستعجب وأنا أخبرك: أن كان الدعاء المحبب لأمير المؤمنين عمر: «اللهم ارزقني صدق التوكل عليك وحسن الظن بك» فاحفظه وافهمه..

---

(١) صحيح.. انظر حديث رقم ٧٧٩٢ في ص ج ص.

مساكين والله..

من عند موته لا يتذكر إلا الأموال والعقارات والسيارات والمحمول والتركات.. وآخر أين يذهب أولاده من بعده؟! وثالثة: لمن أترك زوجي وأولادى ومن يخدمهم؟!.. ورابعة: أين حجابى وحشمتى؟! وكل ذلك لا يليق بمثل هذا المقام لأن الرازق عليم والوكيل بصير والحفيظ من فوق سبع سماوات مطلع وعالم.. ولذا.. فانظر لحالك أنت..نعم أنت.. أن تحسن الظن بربك عند الموت وهو ما تجسده كلمات ابن عباس: «إذا رأيتم الرجل بالموت فبشروه حتى يلقى ربه وهو حسن الظن به، وإذا كان حيًّا فخوفوه بربه».

هذا أبو المعتمر:

اسمع من المعتمر وهو يخبرك ويقول: قال أبي حين حضرته الوفاة يامعتمر: «حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به».. لأن السلف كان يهتفون بها طيلة حياتهم فبلغها عنهم إبراهيم صادقًا: «كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت حتى يحسن الظن بربه عز وجل»..

وهم من هم.. ونحن من نحن!!.. فهل عملنا شيئًا يُذكر لنا عند الموت؟! وهل لنا من طاعات تزيد من هذا المؤشر؟! ..

وصية أبى حازم الأعرج:

حين حضره الموت قال ليملأ آذان الدنيا ويعظ قلوب البشرية: «أجدني بخير.. أجدني راجيًا لله عز وجل.. حسن الظن به إنه.. والله.. لا يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه، فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له.. ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويرجع الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب».. ولا تعليق.

قلوب خاملة

يا غفول: إلى متى تظل تائهًا معرضًا؟! يناشدك ربك مرارًا وتكرارًا، وكأن كلامه سبحانه لا يعجب مسامعك؟!

وسرعان ما يتلاشى رنين مثل هذه الكلمات!! أما من ذاق طعمها عرف ربه فهام شوقًا إليه..فماذا تنتظر..

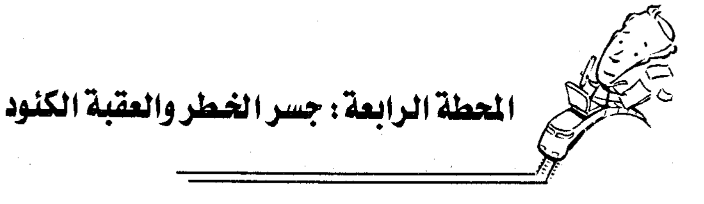
أخبرني بالله عليك..

قم واستدرك الفائت... إلام ترفض قول الناصح وقد أتاك بأمر واضح، أترضى بالذنوب والقبائح؟ يا مضيع الزمان فِيمَ ينقص الإيمان؟! يا معرضًا عن الأرباح أيقظ نفسك وهلم إلى ربك.

وتمتع بتلك النفحة..

قالها مجاهد: «يؤمر بالعبد يوم القيامة إلى النار؛ فيقول: ما كان هذا ظني؟ فيقول: ما ظنك؟ فيقول: أن تغفر لى؛ فيقول: خلوا سبيله».. يا ألله.. يا ألله..

* * *



المحطة الرابعة: جسر الخطر والعقبة الكئود

كلاليب الغرور:

هذا هو حسن الظن بالله وكيف ناله من سبق.. وكيف تقتنيه قلوبنا؟! ولكنه طريق محفوف بالقلق.. وجسر آيل للتصدع.. وجبل شامخ متعرض للشقوق.. فحسن الظن بالله الصادق درب يسير المؤمن في رحابه ويتنعم بنسماته، أما إذا اختل الميزان وتأرجحت الشياطين من حوله.. وراودته النفس على الاستكانة والكسلان انقلب هذا الدليل المنجي إلى بوصلة خطر لا فكاك منها.. ولذا فاقرأ ما تقدم بعناية ثم استفق الآن ،وحرك لسانك مستغفرًا عساك تنال صك البراءة.. وتمر على الجسر بسلام قبل أن تخطفك كلاليب الغرور وسوء الظن أو سوء الفهم.. جاهز؟!!

ما هو الغرور؟!

يعرفه السلف: «هو سكون النفس إلى ما يوافق هواها وتميل إلى شهواتها مع خدع الشيطان؛ حيث يعتقد المرء أنه على خير مع علمه بذنوبه وإصراره وتقصيره وشهواته فهو الغرور، أما الخوف مما جناه المرء والقلق من خجل المواجهة مع الرب مع التماس سبل الرحمة والسعي للعمل وطرق باب الجنة بالطاعات والنوافل فهذا ليس بغرور».

مُنعطف يجب تفاديه:

أيا مغرورًا بالأماني.. لعن إبليس وأهبط من منزل العز بترك سجدة واحدة أمر بها؟!.. وأخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها، وحجب القاتل قابيل منها بعد أن رآها عيأنا بملء كف من دم..« **فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيك**»

وسبحان الله دخلت امرأة النار في هرة، وآخر دخل الجنة في كلب سقاه، وإن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة، فإذا كان الموت جار وظلم في الوصية فيختم له بسوء عمله فيدخل النار..

ذلك لأن..

العمر بآخره والعمل بخاتمته..

وكان محمد بن السماك على دراية بذلك، وحين نظر إلى مقبرة صدح لسان النصح دون شعور: «لا يغرنكم سكوت هذه القبور فينبغي للعاقل أن يكثر ذكر القبر قبل أن يدخله.. فما أكثر المغمومين فيها! ولا يغرنكم استواء القبور فما أشد تفاوتهم! »..

ورحمة الله على الشافعي القائل..

خلقت العباد على ما علمت ... ففي العلم يجري الفتى والمسن
على هذا مننت وهذا خذلت ... وهذا أعنت و هذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن
ومنهم غني ومنهم فقير ... وكل بأعماله مرتهن

لكي تزن أمورك:

* جاء في الخبر أن داود عليه السلام خرج إلى الساحل فعبد ربه سنة، فلما تمت السنة قال: يا رب قد انحنى ظهري وكلت عيناي ونفدت الدموع، فلا أدري إلى ماذا يصير أمري، فأوحى الله تعالى إلى ضفدع أن أجيبي عبدي داود.. فقالت الضفدع: يا نبي الله أتمنّ على ربك في عبادة سنة؟! والذي بعثك بالحق إني على ظهر بردية منذ ثلاثين أو ستين أسبحه وأحمده، وإن فرائصي ترعد من مخافة ربي.. فبكى داود عليه السلام.

* اسمع أصحاب الحسن البصري وهم يحكون أنه إذا سمع حديث: «آخر من يخرج من النار يخرج بعد ألف سنة» يقول: يا ليتني كنت ذلك الرجل!! وقيل له ذلك يومًا.. فقال: أليس يخرج من النار؟!! وسأله أحدهم: أراك طويل البكاء.. فقال: أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي!!

* وقلق بشر الحافي جعله يضرب كفًّا بكف ويقول: «إذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الإسلام تعجبت الملائكة منه وقالت: كيف نجا هذا في الدنيا وقد هلك فيها خيارنا؟!»؛ لأن السعيد من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله.

والخلاصة:

اعرف من أنت؟!

دعوة للمعاتبة الصادقة

ما ظنكم بربكم؟! وما ظنكم بحبيبكم ﷺ؟!

ما ظنكم بربكم إذا وقفتم أمامه يوم القيامة فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة وقد بارزتموه بالمعصية؟! وما ظنكم بربكم إذا نودي عليكم.. فلان بن فلان يهم للعرض على الجبار؟!.. وأنتم على مثل حالكم لا تحاولون التصحيح.. ولا تشتاقون للتغيير.. ولا تتهافتون لطريق الصالحين وهدى خير المرسلين.. وما ظنكم بربكم وقد عصيتم أمره واتبعتم كلام غيره؟! وما ظنكم بحبيبكم ﷺ وقد أمركم بالصلاة والقرآن والحجاب فأهملتم؟!

أهذا هو الوجه الذي تريدون مقابلة ربكم به؟!

وهذا الخلق الذى تودون به التماس الشفاعة؟!

ألا من معتبر؟!

ألا يعتبر تارك الصلاة والمتهاون فيها بحال غيره وقد فارقه وهو يبكي دمًا لتضييعها؟! ألا تعتبر المغرورة بمن لم يحفظ عورتها ويلبسها حجابها إلا الكفن؟!! ألا تعتبر بمن تعرض زينتها ومفاتنها وغدًا سيذوب جمالها في نار جهنم؟! ألا يعتبر مطلق البصر في العورات والتقاط النظرات وغدًا سيأكله الدود؟! ألا يعتبر مرتادو المواقع الإباحية بمن لقوا حتفهم أمامها وسيبعثون كذلك يوم القيامة؟! ألا يعتبر من لسانه في الفحش والسب وقول القبيح وغدًا يخرس حين يُسأل: من ربك؟! ومن نبيك؟! وما دينك؟!..

ألا يعتبر المدخن بمن أهلكه دخانه وبمن دفنه؟! ألا يعتبر من لا يصلي إلا الجمعة ومن لا يقرأ القرآن إلا في رمضان، ومن لا يعيش إلا لملء فاه بالطعام وكظ خزائنه بالمال وهو غدًا بلا أنيس ولا جليس؟!

يا من غرتك غفلتك أو أموالك أو مناصبك.. كيف بك إذا حفر لك في الأرض مقدار أربع أذرع؟!

﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾

فاللهم يا مقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك..

اللهم ارحمنا إذا لم يزرنا زائر وإذا لم يذكرنا ذاكر..

انهيار السد:

* قال ﷺ: «لن يُدخل أحدًا عمله الجنة.. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته فسددوا وقاربوا» [1].

.وأنت من أنت؟!

* جاء فى الأثر الربانى: «قال الله تبارك وتعالى: لا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقَصرين غير بالغين في عبادتهم كنهَ عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيمِ في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري، ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا، فإن رحمتي عند ذلك تدركهم وأمني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت».

فرق بين هذا وذاك

يقول صاحب الفهم المنير ابن القيم مفرقًا بين حسن الظن والغرور: «إن حسن الظن بالله يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، أما التمني والغرور يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها، وكحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع، ولهذا أجمع العارفون أنه لا يصح إلا مع العمل»..

واستفيدوا مع يحيى بن معاذ: «من أعظم الاغترار التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب

(١) صحيح.. رواه البخارى ومسلم، انظر حديث رقم ٥٢٢٢ فى ص ج ص.

دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط».

الدواء الموصوف..

طريقة العلامة السمرقندى:

قال: «من أراد أن يكسر العجب والغرور فعليه بأربعة أشياء، أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالى، فإذا رأى التوفيق من الله تعالى فإنه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه.. الثاني: أن ينظر إلى النعماء التي أنعم الله بها عليه، فإذا نظر نعماءه اشتغل بالشكر عليها واستقل عمله ولا يعجب به.. الثالث: أن يخاف ألا يتقبل منه، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه.. الرابع: أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد كسر العجب»..

يا سادة.. ميزان الآخرة يحصي اللفظة وعدله أدق من الشعرة، هذا الميزان سيحاسب عليه عمر بن الخطاب وسلمان وسعد وخالد.. وخديجة وفاطمة والخنساء وهو هو.. ما سأقف أنا عليه وأنت وكل من خُلق؟!!



أربعة أشياء تشغلني !!

قيل لـ إبراهيم ابن أدهم: لو جلست حتى نسمع منك شيئًا..فقال: إنى مشغول بأربعة أشياء فلو فرغت منها لجلست معكم. قيل: وما هى؟

قال: تفكرت في يوم الميثاق من بنى آدم وقال الله عز وجل: هؤلاء في الجنة.. وهؤلاء في النار، فلم أدرِ من أى الفريقين كنت أنا؟..

وتفكرت في الولد إذ قضى الله بخلقه في بطن أمه ونفخ فيه الروح، فقال الملك الذي وكل به: يارب أشقى أم سعيد؟ فلم أدرِ كيف خرج جوابى في ذلك؟..

وتفكرت حين ينزل ملك الموت فإذا أراد أن يقبض روحى فيقول: أمع المسلمين أم

مع الكافرين؟! فلم أدرِ كيف يخرج جوابي؟..

وتفكرت قوله: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ فلا أدرِ من أي الفريقين أكون؟!..

يا سادة: هذا ما شغل الصالحين فماذا شغلكم؟! قليل من الاعتبار يرحمكم الله..

إلى اللقاء في..

قال ﷺ: «ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهي لكظيظ»[1].

لذا أقول لك: مهر الآخرة يسير قلب مخلص ولسان ذاكر وترنمات بالسحر وتأملات قرآنية وحسن خلق.. لأن من تبصر تصبر والعزم والجد مطية النجاح والغرور بداية النهاية، والتوانى أبو الفقر والتفريط أخو الندم والكسل ابن عم الحسرة، وما العز إلا تحت ثوب الكد والتعب وعلى قدر الاجتهاد تعلو الرتب.. وحسن الظن بالله فوق كل هذا وذاك..

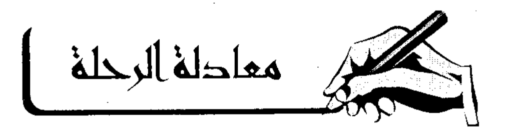
وعند باب الجنة ووسط هذا الزحام يكون اللقاء!!..إن شاء الله..



١- أكثر الدعاء «اللهم ارزقني حسن الظن بك».

٢- الحفاظ على الصلاة في وقتها.

٣- الإكثار من الدعاء ومناجاة الله.



ذكرالله + الدعاء والمناجاة + حسن الخلق= حسن الظن بالله.

---

(١) صحيح.. انظر حديث رقم ٥٥٩٠ فى ص ج ص.



الرحلة الخامسة

التقوى..
حزام الأمان

ضربة البداية

احذر الشوك:

ذات يوم من الأيام سأل رجل أبا هريرة: ما التقوى؟!

قال: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟!..

قال: نعم..

قال: فكيف صنعت؟

قال: «إذا رأيت الشوك عدلت عنه، وجاوزته أو قصرت عنه»..

قال أبو هريرة: «ذاك التقوى».

.. نعم.. هذه هي التقوى..

فالحياة مليئة بالفتن، ومكدسة بالشهوات، ومعبأة بالمشاكل..

ومن ثم..

من لا يحذر الشوك أن يصيبه.. ومن لا ينتبه لأنياب الفتن أن تمزق قلبه..

ومن لا يتعظ بتجارب غيره لدغ..

فالتقوى هي حزام الأمان الذي ينجي من الصدمات.. ويحمى من الكدمات..

وتيسر السبيل للوصول لبر الأمان..

ولو أصابك بعض الأشواك..

فإنها في النهاية جروح طفيفة تكفر الخطايا والذنوب..



المحطة الأولى: تعالوا نفهم

كلمة للشباب:

التقوى كلمة يستشعر القلب ثقلها، وتحس الأذن بجرسها، وزاد للروح يُتحلى بها.. فهي ببساطة التقوى هي الحماية من كل الأخطار صغيرها وكبيرها.. خارجيًّا وداخليًّا..

« أن يراك الله حيث أمرك.. وأن يفتقدك الله حيث نهاك »..

أن يراك الله حيث أمرك..

أن يراك الله في المسجد تصلى..

أن يراك الله في العمل تتقنه..

أن يراك الله في البيت تحسن معاملة والدك ووالدتك..

أن يراك الله مع أصحابك تخططون للنجاح فى الحياة..

أن يراك الله بين أصدقائك تجتمعون على طاعة..

أن يراك الله تحب الخير لكل المسلمين وتساعدهم..

أن يراك الله تأخذ بيد غيرك مقدمًا يد العون وصدق النصيحة..

وأن يفتقدك الله حيث نهاك..

أن لا يراك الله في مكان ما عُرف عنه إلا أنه مكان معصية.. أو معقل مشبوه..

أن لا يراك الله في بيتك تغلق عليك بابك مستترًا لفعل ما يحلو لك من ذنوب..

أن لا يراك الله ترتدين حجابك فى الشارع ولكن فى جامعتك أو فى فرح صاحبتك تخلعينه!!

أن لا يراك الله مع أصحابك لا تخططون لمعاصٍ وذنوب..

أن لا يراك الله تتصفح المواقع الإباحية وتنشر صورها..

أن لا يراك الله تعاكس بنات المسلمين وتتداول صورهم وأرقام هواتفهم..

أن لا يراك الله تكلم من لا تحل لك، وهى تكلم من لا يحل لها فى جوف الليل..

وكأنك نسيت: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وتعريف رائع

«فعل ما أمرك الله بفعله.. وترك ما أمرك الله بتركه»

أعتقد أن «التقوى» التى هى حزام أمان الدين والدنيا والقلب لم تعد صعبة المعنى.. ولا عسيرة الفهم.. ولا مستحيلة الإدراك.. بل هي وجودك دومًا في طاعة الله وعبادته.. فأنت تمارس حياتك وترتدى أفخر الثياب.. وتلعب الرياضة وتذهب لعملك وتخرج مع الأصحاب.. ولكن وفق إطار الحلال والحرام..

وقال على بن أبي طالب: «التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

حقيقة رائعة:

قال أهل العلم: التقوى هي «لو جمعت ما في قلبك في طبق مكشوف، وطفت السوق لم يكن فيه شيء تستحيى منه»..

فكم واحدًا منا يستطيع أن يضع قلبه بين كفيه ويمر به أمام الناس؟! ولا يخجل أن يراه الناس أو يخاف أن يفضح بكذا وكذا؟!.. ويعرف الناس عنه أنه يفعل كذا وكذا؟!.. فما بالنا بالعرض على الله -عز وجل- يوم القيامة فأيهما تخشى؟! وأيهما تخاف؟! وأيهما تستعد إلى لقائه؟!

والعجيب إذا قال لك أحد: «اتقِ الله».. غضبت!!

أخذته العزة !!

يا صاحب العقل الواعي..

كم تنذر الدنيا وما تسمع! وكم تحذر من وقع أسيرًا لها ولكن يطمع!!

وإذا قيل له: اتقِ الله.. سخط عليك وقال: أو مثلك ينصحني؟!!.. أأنت ترشدني؟!.. وكأنه تعالى عن البشر.. وظن أنه فوق البشر.. وهنا يضيق صدره ويحمر وجهه.. والسبب أن فلانًا قال له: «اتقِ الله».. ما أجمل لو فهم معناها وأخذها بحسن ظن أن يَقول ويدعو: «اللهم اجعلني من المتقين».. ولكننا في واقعنا نحسبها سُبة؛أو قذفًا في وجه من يقال له؛ ومن هنا رسم القرآن الكريم هذه الصورة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]..

وهذا ميمون بن مهران حين جاءه رجل وقال له: «يا أبا أيوب: ما يزال الناس بخيرٍ ما أبقاك الله لهم؟! فردَّ عليه: «أقبل على شأنك، ما يزال الناس بخير ما اتقوا ربهم».

.. لذا تعالوا نرص حروف القاعدة..

ومعنى رائع:

قال أهل العلم: «إحكام ما بين الإنسان والخلق بحسن المعاملة والسلوك، وإحكام ما بين الإنسان وخالقه.. بحسن العمل والطاعة»..

وقال ابن عباس: «المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به».

وذكرت التقوى على لسان (٢٥٨ آية).. كلها تأخذ معنى التقوى، تخيل العدد.. لذا صنف العلماء هذا القاعدة:

«التقوى: أساس العمل وأصل الطاعة»..

قال ﷺ: «أوصيك بتقوى الله تعالى فإنَّها رأس كلِّ شيء»[1].

فشرح الإمام المناوي: «إذ التقوى وإن -قلَّ لفظها- جامعةٌ لحقِّ الحقِّ والخلق، وشاملةٌ لخير الدارين، إذ هي تجنُّب كلِّ منهيّ، وفعل كلِّ مأمور».

وتكلم ابن مسعود: «تقوى الله أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر».

وصية الله لي ولكم..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾.. هل هذا معقول؟!

الله عز وجل في ملكه يوصينا.. بماذا؟!

ويوصى كل من خلقهم.. بماذا؟..

بـ(اتقوا الله).. أليس هنا نستطيع القول أن تقوى الله: حزام الأمان..

وعبر القرآن معانٍ كثيرة:

- الخوف: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

- العبادة: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أنا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

- ترك المعصية: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

- التوحيد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٣].

- الإخلاص: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

مراتب التقوى:

يقسمها ابن القيِّم: «التقوى ثلاث مراتب: إحداها: حماية القلب والجوارح عن الآثام والمحرَّمات.

---

(١) حسن: من حديث أبى سعيد الخدري، انظر صحيح الجامع للألبانى رقم: ٢٥٤٣.

الثانية: حمايتها عن المكروهات.

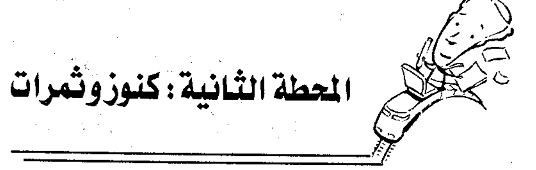
الثالثة: الحماية عن الفضول وما لا يعنى.

فالأولى: تعطي العبد حياته، والثانية تفيد صحَّته وقوَّته، والثالثة تكسبه سروره وفرحه وبهجته».

إحياء القلب:

يقول شيخ الإسلام أبو حامد الغزالي: «العبادة شطران، اكتساب: وهو فعل الطاعات، واجتناب: وهو تجنُّب السيِّئات، وهو التقوى، وشطر الاجتناب أصلح وأفضل وأشرف للعبد من الاكتساب، يصومون نهارهم ويقومون ليلهم، واشتغل المنتبهون أولو البصائر بالاجتناب، إنَّما همَّتهم حفظ القلوب عن الميل لغيره تعالى، والبطون عن الفضول، والألسنة عن اللغو، والأعين عن النظر إلى ما لا يعنيهم».

* * *



المحطة الثانية: كنوز وثمرات

١- يجعـــــل الله لك فرقـانًا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال مجاهد: «مخرجًا في الدنيا والآخرة»..

حقًّا.. إن التقوى هي حزام الأمان وهي المخرج الذي يجعله الله لك وسط مشاكل الدنيا وتوالد همومها.. إذا قابلت إنسانًا غير متزوج ويريد الزوجة الصالحة، أو البنت التي تنتظر زوجًا متدينًا.. والكل يشتكي، فإذا أوصيتهم اتقوا الله.. ظنوا أن ذلك محض كلام لا يسمن ولا يغني من جوع..

بل..

على العكس، فالله وعد من يتقيه أن يجعل له المخرج والفرقان الذين يميز به في ظلمات الفتن والابتلاءات؛ وبين اختيار الأمر الصواب.. وضمان عدم التشتت في غياهب الظروف وشباك المشكلات.. وعدم الانسجام في هجوم المعاصي التي اعتادها الناس..

معنى آخر..

وابن عباس يلقي برأيه فيقول المعنى هنا أيضًا: «النصر».

يا شباب:

إن الله -عز وجل- ينصرك على من يعاديك.. ويأخذ بيدك عن من يكيد لك.. ويضرب لك على يد الظالم.. وتذكر فتية أهل الكهف الذين اتقوا ربهم فجعل الله لكم هذا المخرج والفرقان الذي ينجي ويثبت وسط اكتساح الفتن والشهوات.. بل وتذكر أن من دعائهم: ﴿وهيئ لنا من أمرنا رشدًا﴾..

والله نحن نحتاج أن يهيئ الله لنا من أمورنا رشدًا.. كي نأخذ القرار السليم والرأي الصواب.. وبين اختيار من يصاحبني.. ومن أتركه؟!..

وهل أدخل هذه الكلية أم غيرها؟!..

وهل أقبل هذا زوجًا لي أم لا؟!

يقول الإمام ابن الجوزيّ: «ومن يتَّقِ الله يجعل له مخرجًا» فإن رأيته في شدَّة، فله من اليقين بالجزاء ما يصير الصابَ عنده عسلا، وإلا غلب طيش العيش في كلِّ حال، والغالب أنَّه لا ينزل به شدَّة، إلا إذا انحرف عن جادَّة الصواب، فأمَّا الملازم لطريق التقوى فلا آفة تطرقه، ولا بليَّة تنزل به، هذا هو الأغلب، فإن ندر من تطرقه البلايا مع التقوى فذلك في الأغلب لتقدُّم ذنبٍ يجازى عليه، فإن قدَّرنا عدم الذنب، فذاك لإدخال ذهب صبره كير البلاء، حتى يخرج تِبْرًا أحمر».

٢- الله وليـــــــك:

قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾..

الولي: «هو القريب الذي يرعاك أو المحب الذي ينصرك، الولي يجب أن يكون أقرب الناس إليك، وهو أول من تفزع إليه وتقرع بابه حين تصيبك المصيبة لينصرك على أعدائك فيفتح لك ويأويك».

وانظر عندما تولى الله أمر سيدنا يوسف...

فأحوج القافلة للماء في الصحراء ليذهبوا إلى البئر، ثم أحوج عزيز مصر للأولاد ليتبنى سيدنا يوسف، ثم أحوج الملك للرؤيا وتفسيرها ليخرجه من السجن، ثم أحوج مصر بأكملها للطعام ليكون عزيز مصر، كل هذا من أجل عبده الذي تولى أمره.

وانظر إلى آخر سورة يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ففي غزوة أحد جاء أبو سفيان أسفل الجبل والنبي والصحابة فوق الجبل، فقال: «أفيكم محمد؟».

فقال النبي :«لا تجيبوه»، فقال :«أفيكم أبو بكر؟» فقال النبي: «لا تجيبوه»، فقال: «أفيكم عمر؟» فقال النبي: «لا تجيبوه»، فقال أبو سفيان: «لنا العزة ولا عزة لكم»، فقال النبي: «أفلا تجيبوه؟»، قالوا: «فبما نجيب يا رسول الله؟» قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» فبدأ الجيش كله يقول الله مولانا ولا مولى لكم، فقال أبو سفيان: «أشهد أن الثلاثة أحياء» ولا تنس قول الله عز وجل: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

نحتاج بحق لفهم هذه الآية وتفسيرها.. كي يسيطر على عقولنا فهمها والعمل بما فيها، وكما قال الإمام على بن أبي طالب: «سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وسادة الناس في الآخرة الأتقياء»...

تذكر ﴿اللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾..

فكن منهم حتى يأخذ بيديك ويدبر لك، ويقيك الله شر الفتن.أن يرح قلبك وقت الهموم والأكدار.. أن يغنيك بفضله عمن سواه.. أن ينجيك وقت الشدة..

٣- عظـــم الله أجـــــرك:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

الله.. الله..

يا صديقى:

ما إن تفعل ما أمرك الله به.. وتنتهي عما نهاك الله -عز وجل- عنه.. يكفر عنك سيئاتك.. ويتجاوز لك عن ذنوبك.. ويسامح لك تقصيرك.. وليس فحسب بل «ويعظم له أجرًا».. الله الكريم الذي يعطيك الأجر والمثوبة.. يعدك بالمزيد وبالمكافأة، وتكفل الله بنفسه أن «يُعظم» لك أنت أجرًا..

هل شعرت بقيمة كلمة يعظم من التعظيم والعظمة، ومن أسماء الله عز وجل «العظيم»..

انظر لقلبك:

كيف سيعظم الله لك الأجر والثواب؟! هل تعرف إلى كم ضعف؟!

ولكن اليقين أن الله وعدك وكما قال أهل العلم:

« يذهب عنك المحظور، ويجزل لك الثواب الكبير على العمل اليسير»..

رأى الحسن البصريِّ يومًا فرقد السنجيَّ وعليه جبَّة صوف، فأخذ بجبَّته ثمَّ قال: «يا ابن فرقد (مرَّتين أو ثلاث) إن التقوى ليست في الكساء، إنما التقوى ما وقر في القلب.. وصدقه العمل والفعل»..

وشتان شتان:

بين من يفعل الطاعة فيأخذ كذا حسنة.. وبين من يفعل نفس الطاعة وفي نفس المكان، وفي نفس الوقت، ولكن شتان شتان بين الثواب هنا وهناك.. لأن الله عز وجل وعده «ويُعظم له أجرًا»..

٤- لباس التقوى:

قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾..

كل اللباس يفني.. ويتقطع.. ويبلي.. مهما كانت حلاوته.. مهما غلا ثمنه.. مهما كانت ماركته وعلامته.. مهما كان شكله ولونه.. سيبلى وسيفنى.. أو ستتركه أنت ميراثًا لغيرك..

أما اللباس الذي يلازم صاحبه ولا ينفك عنه ولا يبلى ولا يفنى.. لأنه يستره من الفضيحة.. ويحميه من الشماتة.. ويقيه سوء العذاب لباس اسمه « لباس التقوى»..

ويدلى بدلوه الإمام ابن القيِّم: «سبحان الله، ظاهرك متجمِّلٌ بلباس التقوى، وباطنك باطيةٌ (أناء شرب الخمر) لخمر الهوى، فكلَّما طيَّبت الثوب فاحت رائحة المسكر من تحته

فتباعد منك الصادقون؛ وانحاز إليك الفاسقون».

لباس التقوى:

إنه اللباس الذي يكسو القلب.. فيصير قلبا ربانيًا نورانيًا.. لا ترى فيه الحق والغل والحسد والكره..

اللباس الذي يكسو اللسان.. فلا يقول إلا ما يرضي الله ويتعفف عن الغيبة والنميمة.. والسب واللعنات وسوء الألفاظ.

لباس التقوى الذي يكسو الجسد فلا يفضح بمعصية.. ولا يسمح بوجود هذا الجسد في مكان يغضب الله عليه..

لباس التقوى الذي يكسو العقل.. فيفكر فيما يرضي الله.. وما يفرح رسولهﷺ.. وما يسعد به حاله وحياته ويفيد به أمته..

لباس التقوى الذي يكسو الأخلاق.. فيحبه الناس ويستريحون لشخصه ويتوددون إلى الاقتراب منه، ومصاحبته لأنه أسرهم بأدبه وخلقه..

٥- تأمين مستقبل الأولاد:

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

بالله عليك: لا تكن ممن كلما طال عمره زاد إثمه.. لا تكن ممن كلما كثر ماله زاد بخله.. لا تكن ممن كلما رأى أصحابه نسى ربه فزاد جحوده.. لا تكن ممن كلما أحس بصحته عصى وظلم ونسى سقمه.. ولا تظلم في الميراث.

٦- قافلة تنتظر الانضمام إليها..

قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٢، ٦٣].

هل فكرت يومًا أن تنضم لهذه القافلة.. التي هي من أولياء الله.. ومن انضم إليها لا

يخاف ولا يحزن.. لأنه صار من أولياء الله.. والطريق يحتاج إلى بعض التعب وقليل من المشقة.. والشرط واضح والبيانات محددة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ..

صحت عقيدتهم في إيمانهم بربهم.. اتقوا الله في أموالهم وأفعالهم وسلوكهم ومعاملاتهم.. فنحن بحاجة ماسة في هذا الزمن.. وعلى هذا الطريق.. أن نجد من يشد من أزرنا؛ ويثبت أقدامنا؛ ويصلح لنا أحوالنا.. فهل هناك أحد أفضل وأعظم وأجل من الله؟!.. «والله ولي الذين آمنوا»..

أعتقد الآن نحن بحاجة لترتيب الأمور.. وفهم الأولويات.. وكفى علينا ما أخذته الدنيا منا ومن أوقاتنا، وما انتزعته صحبة السوء من أخلاقنا.. وما اقتنصته الفتن والشبهات والشهوات من قلوبنا وإيماننا وتقوانا..

٧- أكرم الناس:

سئل الرسول ﷺ: «من أكرم الناس، قال: أتقاهم»[1].

أكرم الناس.. هم الأتقياء..

وذات يوم لما حان وقت الصلاة والرسول ﷺ يأمر بلالاً ليؤذن على الكعبة.. وكان أبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوسًا.. فقال عتاب: الحمد لله الذي قبض أبى حتى لم يَرَ هذا اليوم فيسمع منه ما يغيظ القصة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس.. وقوله للرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، يعيره بأمه، قال النبي ﷺ: «من الذاكر فلانة؟» فقال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال: «انظر في وجوه القوم فنظر» فقال: «ما رأيت يا ثابت؟» قال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: «فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى»، فنزلت في ثابت هذه الآية..

(١) صحيح: رواه البخاري عن أبي هريرة، انظر صحيح البخاري رقم ٣٤٩٠.

وقال مقاتل: لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة وأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنًا، وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئًا يغيره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئًا أخاف أن يخبرَ به رب السماء، فأتى جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء.

قال قتادة في هذه الآية: إن أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور.

وقال ابن عباس: كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى.

أكرمكم: أفضلكم.. وأصلحكم.. وأكثركم صحبة للنبي ﷺ.. وأكثركم محبة لله عز وجل..

٨- الأمـــــور تيســـــر:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، انظر الوعد الصريح..

تقوى الله: تيسر الأمور.. هل تعثرت في زواجك.. في عملك.. في جامعتك.. مع أولادك.. مع أهلك.. مع أصحابك.. الطريق تقوى الله ومراعاته في كل صغيرة كانت أو كبيرة..

فاتقِ الله في السر والعلن.. ولا تستر نفسك لتنال شهوتك وتغضب ربك.. فاتقِ الله في العلانية ولا تجاهر بذنبك متفاخرًا به.. فاتقي الله ولا تخرجي من بيتك متعطرة تظهرين شعرك ومفاتنك فإنك لست مهملة أو متروكة بل سيأتي يوم الحساب..

فاتق الله وراعِ ضميرك.. وأحسن كما أحسن الله إليك.. فاتقِ الله في مالك وأخرج زكاتك وأعطِ الفقير حقه.. وسيبارك الله لك وسيقيك شر الدين والحرمان والفقر.

وقد نصح التابعي الجليل طلق بن حبيب أتباعه باتّقاء الفتن بالتقوى فقال: «اتقوها بالتقوى»، فقيل له: صف لنا التقوى، فقال: «العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله، مخافة عذاب الله».

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وهو ما رواه ابن عبَّاسٍ بقوله: «ينجيه من كلِّ كربٍ في الدنيا والآخرة».

وهو ما قاله على بن صالح: «المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه».

«النجاة من النار إلى الجنَّة» قاله القلبيّ.

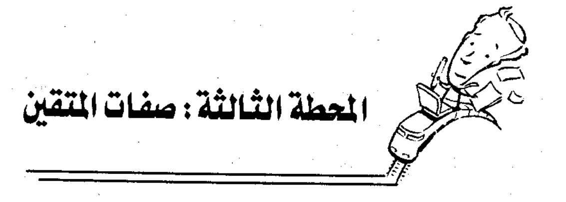
« مخرجًا من النهى» قاله الحسن البصريّ.

وما قاله ابن خيثم: «من كلِّ شيءٍ ضاق على الناس».

٩- بـــركات.. بركات.. بركات..

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].. إنها البركات.. من السماء.. والبركات من الأرض.. ويكفي أن هذه البركات هبة من الله عز وجل..

* * *



المحطة الثالثة: صفات المتقين

١- الصـــــدق:

قـال تعـالى: ﴿أُولَئِـكَ الَّـذِينَ صَـدَقُوا وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُتَّقُـونَ﴾. مـن صـفات المتقـين الصدق.. والصدق هو صدق اللسان.. وصدق القلب.. وصدق الحال..

٢- حســـــن الخلق:

قال ﷺ حين سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة: «تقوى الله وحسن الخلق»[(١)].

قال ابن رجب: «وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه».

٣- تعظيم الشعائر:

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وتعظيم الشعائر والعبادة وأداؤها بخشوع وإتقان هي من تعظيم الشعائر.. وأنها من تقوى القلب وإخلاصه وفهمه عن الله عز وجل. والدليل على أهمية تقوى الله في عبادته وتعظيم شعائره اسمع:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٢].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١].

---

(١) حسن: من حديث أبي هريرة، انظر صحيح الترغيب للألباني رقم: ٢٦٤٢.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٧].

وقال الحسن: «المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض الله عليهم».

وقال عمر بن عبد العزيز: «ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلى خير».

٤- العفو والتسامح والصفح:

قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

مسامحة الناس والصفح عن من ظلمك.. والعفو عمّن أساء إليك من علامات المتقين وصفاتهم؛ لأنهم ينتظرون الأجر والثواب من الله وحده.. ولا ينتظرون لكي أنتقم من فلان.. أو أكيد لفلان.. بل قلبهم همه إرضاء الله..

٥- الانتباه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، يا ألله.. إذا مسهم الطائف.. مجرد خاطرة أو فكرة يلوح بها الشيطان أمام أعينهم أو يراود بها قلبهم.. ترى الانتباه.. والصحو من الغفلة.. والاستيقاظ من رقدة المعصية.. فينتبه العقل.. ويفيق القلب.. لأن الإيمان موجود.. والقلب تحرك، وآلات التنبيه علت أصواتها: انتبه.. إن هذا يغضب الله..

.. ومن هنا كان حديث النبي ﷺ ودعاؤه: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[1].

بل وعند السفر: «اللهم أنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى» تنبيه لك في سفرك. هل سفرك لمعصية الله؟.. هل طريقك هذا فيه سخط الله؟.. هل

(١) صحيح: رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود، انظر صحيح مسلم رقم: ٢٧٢١.

حركتك هذه تغضب الله؟!.. إذن.. العبد الذي يتقى الله يحميه ربه من نزغات الشيطان.. ومن مسه.. ومن وسوسته له.. والتقوى محلها القلب..

وقد حصل ما يُشبه ذلك الفَهْم في زمنِ عمرَ بنِ الخطاب، فقد روى عبد الرزاق في المصنف أن عمر بن الخطاب استعمل قُدامةَ بنَ مظعون على البحرين – وهو خالُ حفصة وعبد الله بن عمر – فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر من البحرين، فقال: يا أمير المؤمنين إن قدامةَ شَرِبَ فسَكِرَ، ولقد رأيت حدًّا من حدود الله حقًّا عليَّ أن أرفعَه إليك.

فقال عمر: من يشهدُ معك؟

قال: أبو هريرة، فدعا أبا هريرة فقال: بِمَ تشهد؟

قال: لم أرَهُ يشرب، ولكني رأيتُهُ سكران.

فقال عمر: لقد تنطّعتَ في الشهادة.

قال: ثم كتب إلى قدامة أن يَقْدُم إليه من البحرين، فقال الجارودُ لعمر: أقم على هذا كتابَ الله عز وجل، فقال عمر: أخصمٌ أنت أم شهيد؟ قال: بل شهيد. قال: فقد أديتَ شهادتَكَ.

قال: فقد صمت الجارود حتى غدا على عمر، فقال: أقم على هذا حدَّ الله.

فقال عمر: ما أراك إلا خصمًا! وما شهد معك إلا رجل.

فقال الجارود: إني أَنْشدُكَ الله.

فقال عمر: لتُمسكنَّ لسانَك أو لأسوأنّك.

فقال الجارود: أما والله ما ذاك بالحق. أنْ شَرِبَ ابنُ عمك وتسوءني.

فقال أبو هريرة: إن كنت تشكُّ في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فَسَلْها – وهي امرأة قدامة – فأرسل عمر إلى هند ابنةِ الوليد ينشُدُها، فأقامت الشهادة على زوجها.

فقال عمر لقدامة: إني حادُّك.

فقال: لو شربت كما يقولون ما كان لكم أن تجلدوني!

فقال عمر: لِـمَ؟

قال قدامة: قـال الله تعـالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

فقال عمر: أخطأتَ التأويل. إنك إذا اتقيتَ اجتنبتَ ما حرّمَ اللهُ عليك.

قال: ثم أقبل عمر على الناس، فقال: ماذا تَرون في جَلْدِ قدامة؟

قالوا: لا نرى أن تجلده ما كان مريضًا.

فَسَكَتَ عن ذلك أيامًا، وأصبح يومًا وقد عَزَمَ على جَلْدِهِ، فقال لأصحابه: ماذا ترون في جَلْدِ قدامة؟

قالوا: لا نرى أن تجلده ما كان ضعيفًا.

فقال عمر: لأن يلقى اللهَ تحتَ السياطِ أحبُّ إليَّ من أن يلقاه وهو في عنقي. ائتوني بسوطٍ تامّ، فأمربقدامة فجُلد.

الخلاصة:

«إنك إذا اتقيتَ اجتنبتَ ما حرّمَ اللهُ عليك»

كيف يكون متقيًا؟!

وذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس -رحمها الله- قال: «كيف يكون متقيًا من لا يدري ما يتقي.ثم قال معروف الكرخي:إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا، وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة ولم تغض بصرك، وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك»..

٦- الإيمان بالغيب:

قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١، ٢].

والغيب ما غاب عنا، ولكن يجب أن نقف عند مفهوم الغيب فهل الذي غاب عنا موجود أو غير موجود؟ الغيب لا بد أن يكون موجودًا.

هناك غيب أطلعنا الله تعالى عليه وغيب سيطلعنا عليه فيما بعد وغيب لا يطلعنا عليه أبدًا. وفي أواخر سورة لقمان ذكر تعالى غيبيات خمسة لا يعلمها إلا هو سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وصف الله تعالى المتقين بالإيمان بالغيب، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢،٣].

هذا أول صفة للمتقين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

يقول الشيخ ابن جبرين: «والغيب كل ما أخبر به مما هو غائب غير مشاهد، وإذا كان المُخبِر به ممن يجب تصديقه، فإن المُخبَر يجزم بصحة ذلك الخبر ويتحقق صحته، وبذلك تظهر عليه آثار ذلك الإيمان، وقد دخل في الإيمان بالغيب أركان الإيمان الستة فإنها كلها إيمان بالغيب، فإن الإيمان بالله تعالى إيمان بوجوده، وإيمان بما أخبر عن نفسه من الأسماء والصفات، وإيمان بأفعاله وبعقوباته، وما أحل به أحله بمن عصاه، وإيمان بوعده ووعيده وإيمان بثوابه وعقابه، كل ذلك داخل في الإيمان بالغيب..

كذلك من الإيمان بالغيب الإيمان بملائكة الله: وذلك لأنه أخبر عنهم ونحن ما رأيناهم، فوصفوا في القرآن ووصفوا في الأحاديث بصفات قد يستغربها الذي يسمعها، ولكن إذا تحقق أن الذي أخبر بها هو الله تعالى ورسوله الصادق الأمين صدّق بذلك، وإن لم يدركه العقل وإن استبعد ذلك من استبعده. فهذا من حقيقة الإيمان، وقد حدث قوم لا يصدقون إلا بما يدركونه بحواسهم وكل ما لم يروه فإنهم لا يصدقون بوجوده أو لم يسمعوه أو لم يمسوه»..

٧- الاشتياق للآخرة:

قال الفيروز آبادي: «من التزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا قال تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

حقًّا.. الدار الآخرة هي الخير للذين يتقون.. للذين يطيعون ربهم.. للذين يحبون ربهم كي يستريحوا من تعب الدنيا وشهواتها وفتنها وهمومها وأكدارها إلى الجنة؛ التي لا

تحمل لهم إلا الفرح والسعادة والسرور؛ وهم من أهل الله وخاصته كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

أهل أن يخاف منه.. وأهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب كما قال قتادة وقال تعالى: «أنا أهل التقوى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهًا آخر فأنا أهل أن أغفر له»[1].

النجاة يوم القيامة:

كي يكون الواحد منا على شغف ويتأكد من هذه الصفات.. ويسأل نفسه: هل أنا من المتقين أم لا؟! فهذه هي علامة الكل ينتظرها كما قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر:٦١] الله على هذه الآية في سورة الزمر تأتي وسط جمع من الآيات عظيم، وفى تفسير ابن كثير وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله، ﴿لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾أي: يوم القيامة ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾أي: ولا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزحون عن كل شر نائلون كل خير.

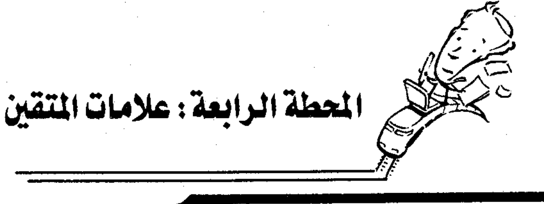
وفى تفسير القرطبى «وينجى» أي من الشرك والمعاصي. «بمفازتهم» على التوحيد قراءة العامة لأنها مصدر.. وعن النبي ﷺ تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة ، قال: (يحشر الله مع كل امرئ عمله فيكون عمل المؤمن معه في أحسن صورة وأطيب ريح فكلما كان رعب أو خوف قال له لا ترع فما أنت بالمراد به ولا أنت بالمعني به فإذا كثر ذلك عليه قال: فما أحسنك! فمن أنت؟ فيقول: أما تعرفني أنا عملك الصالح حملتني على ثقلي فوالله لأحملنك ولأدفعن عنك فهي التي قال الله: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١].

﴿لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

أي: لا يمس المتقين من أذى جهنم شيء، وهو السوء الذي أخبر - جل ثناؤه - أنه لن يمسهم، ولا هم يحزنون، يقول: ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا، إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان.

---

(١) حسن بشواهده: الترمذي وأحمد.



المحطة الرابعة: علامات المتقين

العلامة الأولى: تحرى الحلال والحرم:

قال أبو الدرداء: «أن يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا؛ ويكون حجابًا بينه وبين الحرام».

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين خرج ذات يوم يتفقد أحوال الرعية، فرأى إبلًا سمانًا (أي متميزة عن بقية الإبل بكبر حجمها).

فسأل عمر: إبل مَن هذه؟

قالوا: إبل عبد الله بن عمر (ابنه).

فانتفض أمير المؤمنين، وقال: عبد الله بن عمر!! بخٍ بخٍ يا ابن أمير المؤمنين!!

وأرسل في طلبه على الفور، وأقبل عبد الله وحين وقف بين يدي والده أخذ عمر يفتل سبلة شاربه، وتلك كانت عادته إذا أهمه أمر خطير.

وقال لابنه: ما هذه الإبل يا عبد الله؟

فأجابه: إنها إبل أنضاء (هزيلة) اشتريتها بمالي، وبعثت بها إلى الحمى أتجر فيها، وأبتغي ما يبتغيه المسلمون.

فغضب عمر وقال: يقول الناس حين يرونها (أي الإبل) ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك، ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين.

ثم أمره قائلاً: «يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك الذي دفعته في هذه الإبل، واجعل الربح في بيت مال المسلمين».

العلامة الثانية: مجاهدة النفس:

قال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل»[١].

وقال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسنة» (حسن: من حديث معاذ بن جبل وأبو ذر الغفاري، وانظر صحيح الترغيب للألبانى رقم: ٣١٦٠).

مجاهدة النفس عن الحرام.. عن المعاصي..معالجة العيوب.. تحسين الخلق.. كلها علامات من علامات المتقين.. وأبو الدرداء يقول ويحذر عن معصية الله في السر حيث لا يراك الناس: «ليتق أحدهم أن تلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر، يخلو بمعاصي الله فيلقي الله له البغض فى قلوب المؤمنين»..

العلامة الثالثة: طاعة الله:

انظر للصحابة حين نزلت آية تحريم الخمر ﴿فَهَلْ أَنْتُم مُّنتَهُونَ﴾ فكان الجواب: «انتهينا ربنا انتهينا».. وابن مسعود قالها من قبلك والله يحبك.. طاعته لله لأن نفعها عائد إليك أنت فانشغل بالله عما سواه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ﴾.

العلامة الرابعة: بيئة صالحة:

من العلاقات أن ييسر الله لك صحبة صالحة وبيئة صالحة تعينك على أمر دينك ودنياك.. جاءت فتاة إلى الإمام أحمد بن حنبل تقول له: إنى أغزل (الصوف) فنغزل بالليل، فلما يغيب ضوء القمر لا نجد ما نغزل عليه فأحيانًا يمر العسكر فنغزل فى ضوء شعاع العسكر أيجوز لنا هذا؟!

فنظر إليها وامتلأت عيناه بالدموع وسألها: من أنت؟

فقالت: أنا أخت الشافعى!!

---

(١) صحيح: رواه الترمذى عن ابن عبيد الأنصاري انظر صحيح الترمذي للألبانى رقم: ١٦٢١.

فقال لها: «إن من بيتكم تخرج التقوى فليغزل كل الناس إلا أهل بيتك، فمن بيتكم تخرج التقوى»..

ميراث شرعي:

وتذكر ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ .

وهنا وعظك يحيى بن معاذ : «عملٌ كالسراب، وقلبٌ من التقوى خراب، وذنوبٌ بعدد الرمل والتراب، ثمَّ تطمع في الكواعب الأتراب؟ هيهات، أنت سكرانُ بغير شراب، ما أكملك لو بادرت أملك، ما أجلَّك لو بادرت أجلك، ما أقواك لو بادرت هواك»..

العلامة الخامسة : محاسبة النفس :

يقول التابعيُّ الجليل ميمون بن مهران : «لا يكون الرجل تقيًّا؛ حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه، ومطعمه، ومشربه؟!».

إنها التنقية.. والتخلية قبل التحلية.. فتراكم الأخطاء وتكاثر السيئات.. تحتاج وقفة محاسبة كى يتم الوقوف على الحساب.. وهل عملك فى صالحك.. أم عليك؟!

خط أحمر:

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

* * *

وقبل السلام

عن أنس قال: جاء رجل رسول الله ﷺ:

فقال: «إني أريد سفرًا فزودني».

قال: «زودك الله التقوى».

قال: «زدني».

قال: «وغفر ذنبك»..

قال: «زدني».

قال: «ويسَّر لك الخير حيث كنت»[(١)].

فهل عرفت الزاد في السفر.. والطعام في الرحلة.. والدليل للسير في طريقة الحياة.. ووصية وهيب بن الورد: «خف الله على قدر قدرته عليك، واستحى منه على قدر قربه منك».

❊ ❊ ❊

(١) حسن صحيح: رواه الترمذي عن أنس بن مالك، انظر صحيح الترمذي للألباني رقم: ٣٤٤٤.



١- الذكر الكثير يربي القلب على تقوى الله.

٢- محاسبة النفس يوميًّا واتباع السيئة بالحسنة بعدها.

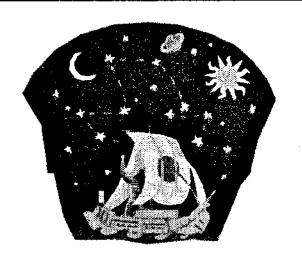
٣- الصحبة الصالحة.

٤- الصدق في القول.

قال: بكر بن عبد الله المُزنيّ عن المؤمن إنَّه: «لا يكون تقيًّا حتى يكون نقيَّ الطمع نقيَّ الغضب».

معادلة الرحلة

ذكر+ محاسبة+ صحبة صالحة+ صدق= تقوى الله





الرحلة السادسة

الصدق.. كلمة السر

ضربة البداية

عن خالد الربعي قال: كان لقمان عبدًا حبشيًّا نجارًا فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها.

قال: أخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب..

ثم مكث ما شاء الله ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها.

قال: أخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب!!

فقال مولاه: أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما..

فقال لقمان: «إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا».

المحطة الأولى: أحسن شيء

تعريف مهم: عرف أهل العلم الصدق فكتبوا: «الصدق: هو أحسن ما توجه به إلى الله عز وجل»..

وقال عبد الواحد بن زيد: «الوفاء لله بالعمل»..

الصدق الحقيقي: مطابقة اللسان للحقيقة التي بداخلك.. أي مطابقة الظاهر الذي يظهر عليك بما هو في باطنك وما يحويه قلبك.. أما من كان أمام الناس بشيء وباطنه شيء آخر.. فهو ليس بصادق.

الصدق معنى واسع شامل:

وهو أنك ترى أنك عبد الله بحق.. وتتحقق بصفات العبودية من الفقر والحاجة والعوز ولا ترى لنفسك صفة من صفات الله كالمتكبر والعزيز والجبار.. ولن تكون صادقًا حقًّا إلا إذا تجردت من كبرك وعجبك، وتحققت بصفات فقرك وعبوديتك وانكسارك بين يدى ربك..

والصدق يبدأ من القلب ثم يتعلق باللسان ثم يظهر على الجوارح.. وأنت في كل وقت تصلى فيه تعترف بذلك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.. فتعترف بها ولا تقول غيرها.. فما أجمل أن يكون هذا لسان حالك.. ولسان فعلك.. ولسان قلبك.. ولسان عزمك.. ولسان إرادتك.. وحالك الدائم مع الله في كل حياتك.

أنواع الصدق:

يقول ابن القيم: «الصدق ثلاثة: قول وعمل وحال.

القول: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

الأعمال: استواء الرأس على الجسد.

الأحوال: بذل الطاقة بإخلاص الله».

فلا يظن أحد أن الصدق هو صدق اللسان وحسب.. لا.. بل هو صدق في العمل مع الله وصدق في الحال ثم صدق باللسان، وكلها مرتبة ومرتبطة ومندمجة ببعضها البعض..

أحسن عبادة:

أبو عبد الله الرملي يقول: «رأيت منصور الدينوري في المنام فقلت له: ما فعل الله بك! قال: غفر لي ورحمني وأعطاني ما لم أؤمل..

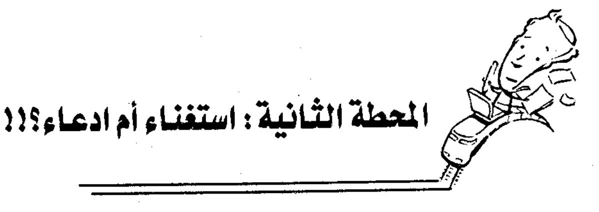
فقلت له: أحسن ما توجه العبد به إلى الله؟ ماذا؟..

قال: الصدق.. وأقبح ما توجه به الكذب»..

والمعنى هنا لا يفهم الصدق في اللسان والقول وحسب بل هو صدق القلب واللسان والحال والأعمال.. ومن هنا قال محمد بن على الكتاني: «وجدنا دين الله تعالى مبنيًّا على ثلاثة أركان: على الحق والصدق والعدل.. فالحق على الجوارح والصدق على العقول والعدل على القلوب»..

وهو أن الصدق يحرك الجوارح على فعل الحق.. ويجعل القلب عادلًا لا يظلم ولا يجور..

* * *



هل أنت مستغنٍ؟!

يا صاحبي: لو لم يكن الإنسان صادقًا كانت عبوديته لله تحيط بها المشكلات والعقبات.. بمعنى إذا لم يصدق العبد في طاعته لله.. ورأى نفسه أنه يستحق التقدير والمكانة والهيبة والعظمة ويرى أن الناس لا بد أن تمشي لتوقيره وكأنه فعل ما لم يفعل من قبل ومن هنا قال الله عز وجل: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾

فهل أنت مستغنٍ عن الله؟!..

والاستغناء يعني التحرر من عبودية الله.. ومن ثم من أراد أن يراه الناس مستغنيًا يحب أن يحمده الناس ويشكره الناس ويعظمه الناس فيضطر للكذب.

الكذب في القول.. والكذب في العمل.. والكذب في الحال.. وأول هذا الكذب أنه يكذب على نفسه هو.. وقال الله -عز وجل- عن إخوة يوسف الذين كذبوا في قولهم وفعلهم: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

فالدوافع وراء الكذب كثيرة «منها السلبية؛ والفطرة الغير سليمة، والوصول للحصول على الأشياء والمطالب بلا تخطيط؛ ظنًّا أن الكذب هو الطريق الموصل، والأعجب أن يكون الدافع هو ظن النجاة في الكذب»..

الحديث الخلاصة:

قال ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[1].

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود، انظر صحيح البخاري رقم: ٦٠٩٤، وانظر صحيح مسلم رقم: ٢٦٠٧.

فالعبد إما أن يكتب عند الله صديقًا.. وإما أن يكتب عند الله كذابًا؟!

فأيهما تختار لنفسك؟!!

ويا صديقى اعلم أن هذا لقبك عند الله.. (صديقًا أو كذابًا)..

والإنسان يخاف أن يذكر عند شخص مثله بأنه كاذب.. فهل يحب أن يذكره مديره أو رئيسه بأنه كذاب؟!..

بل يحب الواحد منا أن يذكر بأحلى الألفاظ والألقاب والصفات فما بالك.. أمام الله؟!

صاحبى: سل نفسك ماذا تحب أن تكتب عند مالك الملك؟! ما أظنك تفكر لأن الجواب واضح!!!

سؤال إجباري:

قال الله عز وجل: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨].

مطالبة الله لنا أن يظهر صدقك فى كل حياتك وفى كل حركاتك وفى كل عباداتك..
قال الفضيل بن عياض: «ما تزين الناس بشيء أفضل من الصدق، والله -عز وجل- يسأل الصادقين عن صدقهم منهم عيسى ابن مريم عليه السلام؛ كيف بالكذابين المساكين؟!! ثم بكى..

وقال: أتدرون في أي يوم يسأل الله -عز وجل- عيسى ابن مريم عليه السلام يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين آدم فمن دونه ثم قال: وكم من قبيح تكشفه القيامة غدًا؟!!»(١).

وهذا هو الإمام الجنيد بعد أن قرأ هذه الآية وارتعدت فرائضه وذهل قلبه، قال: «يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر»..

أدعياء المحبة!!

وهناك طائفة أخرى قال الله فيهم: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ١٠٨).

مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

قال الثوري: «ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا صادقين»...

فهل تحب أن يكون هذا مكانك وتلك هي سيرتك؟!.. تدعى أنك تحب الله وتصدق معه.. ونراك في الخمارات والبارات.. ونشاهدك في أماكن ما اجتمع أهلها إلا على المعصية والضلال.. ونحس برائحتك من إدمانك للمخدرات أو تعاطيك الهيروين... أم تحب أن نراك مع بنت لا تحل لك بحجة أنها صاحبتك!! أمرك يحتاج إلى إعادة تدبير.. وإعادة تفكير؟!

وأعيد الآية مرة أخرى:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

لا تنكث العهد مع الله:

قال مجاهد: رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود.. فقالا: إن رزقنا الله تعالى مالًا لنصدقن.. فبخلوا به فنزلت: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥].

فكم مرة عاهدت ربك بالتوبة.. بالصلاة.. بالحجاب.. بالصدقة.. بطاعة رسوله ﷺ.. ولكن في النهاية تدخل الشيطان.. وشاركت أصحابك.. واستمعت لغير الله ورسوله فنكثت العهد ونقضت الصفقة وتراجعت عن قرار صدقك على الله، ولا تنس: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

علامة محبة واصطفاء:

أوحى الله إلى موسى: «إني إذا أحببت عبدًا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف (صدقه) فإن وجدته صابرًا اتخذته وليًّا وحبيبًا، وأن وجدته (جزوعًا) يشكوني إلى خلقي خذلته ولا أبالي».

طلب سريع: أعد قراءة الحديث مرة أخرى وركز تحت كل كلمة، وُضِع تحتها خطٌّ.

وهذا يأخذ العهد..

ضمام بن ثعلبة يورده البخاري في (كتاب العلم) ومسلم (كتاب الإيمان).

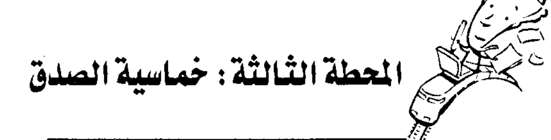
نعم أفلح.. ودخل الجنة إن صدق.. لأن الصدق كلمة السر فى قبول الأعمال.. ورفعة الدرجات.. وسعادة الحياة.. ولذا...

ليتنا نتأمل ونتدبر قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩].

قال ابن عباس: «يوم ينفع الموحدين توحيدهم».

وصدقهم في الدنيا هو صدقهم في العمل لله، وإنما ينفعهم الصدق في ذلك اليوم فيما شهدوا به على أنفسهم من أعمالهم..

* * *



المحطة الثالثة: خماسية الصدق

قال تعالى على لسان نبيه: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَانا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

• مدخل الصدق:

هو أن يكون كل مكان تدخله.. وكل عمل تدخله، وكل طاعة تدخلها مدخل صدق في سبيل الله.. تدخل بيتك مدخل صدق.. وتدخل جامعتك.. ومكان عملك.. تكون صادقًا في عملك وطاعتك وعبادتك..

ومدخل الصدق وأنت ذاهب لاختيار زوجتك؛ ومدخل صدق وأنت تسعى لتحقيق هدفك وذاتك وطموحاتك؛ لأن مدخل الصدق هو الطريق للقبول وفتح الأبواب المغلقة وحصن الآمال المعلقة.

• مخرج صدق:

وهو أن تخرج مخرج الصدق في نهاية عملك وفي نهاية عبادتك.. بل وفي نهاية حياتك تخرج مخرج صدق.. فيكون آخر كلامك لا إله إلا الله محمد رسول الله فتنال صك البراءة من النار والعتق من العذاب.. وتنال رضى الرحمن ومحبته وتثبت على دين الله..

ومدخل الصدق يعتبر سهلًا بنسبة كبيرة، الأصعب هو مخرج الصدق حيث تظل صادقًا في نيتك مخلصًا في عبادتك.. وليست العبرة عبد دخل المسجد بل عن من خرج مغفورًا له، وليست العبرة بمن ذهب للعمرة بل بمن قبلت منه، وليست العبرة بمن دخل الحرب والقتال بل بمن قتل شهيدًا.. والبطولة هنا هي مخرج الصدق.. ونسأل الله أن يدخلنا مدخل صدق ويخرجنا مخرج صدق..

وهذا معاوية بن عمرو بن العاص يقول: «ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج

منه؛ ولست داهية، والله ما دخلت مدخلًا أحب أن أخرج منه »..

• مقعد الصدق:

مثلا مهندس ما اكتشف ثروة بترولية، أو طبيب ابتكر علاجًا رئيسيًّا لأحد الأمراض المزمنة القاسية.. فسوف يتم تكريمه من رئيس الدولة ويكون بجواره وله حمايته الخاصة، وكل الوزراء من حوله يتمنون أن يكونوا هم مكان هذا الرجل المقرب من السلطان مباشرة لمكانته الخاصة ومنزلته العظيمة.. ولله المثل الأعلى يكون لك مكانتك ومنزلتك وشأنك عند الله -عز وجل- مقربًا إليه من أحبابه، ولك عند الله مقعد صدق وصدق الله حين قال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

ومقعد الصدق من أسماء الجنة، أي في الجنة النعيم والراحة والمتعة كلها صفات ونعيم صادق وبشعور تحس به.

• قدم الصدق:

قيل فيه إنه الجنة.. فمن الآن انظر لخطواتك..وحركاتك هل هى ترضي الله -عز وجل- أم تغضبه؟!.. هل تستحق أن يكون لك قدم صدق؟!.. أي يثق الناس برأيك في عملك؟!.. في خلقك في سلوكك.. في عبادتك.. فأنت بذلك لك بينهم قدم صدق.. ومن كانت فيه تلك الصفات نالها يوم القيامة..

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

• لسان الصدق:

هو الثناء الحسن من الناس عليك.. ومن أثنى عليه الناس الثناء الحسن عبد قد صدق لسانه.. وصدق فعله.. وصدق فى حاله مع الله.. فأثنى الناس عليه وأجرى الله ألسنة الخلق عليه بالثناء الحسن.. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ نعم على سائر الأمم وعلى سائر البشرية.. الكل يثني عليه ويحبه ويعرف قيمته وقدره.

* * *



المحطة الرابعة: من ثمرات الصدق

١- النفع متعدد:

دخل مقاتل بن سليمان على المنصور يوم بويع بالخلافة، فقال له المنصور: عظني يا مقاتل. فقال: أعظك بما رأيت أم بما سمعت؟!

قال: بما رأيت..

قال: يا أمير المؤمنين... عمر بن عبد العزيز أنجب أحد عشر ولدًا وترك ثمانية عشر دينارًا، كفن بخمسة دنانير، واشترى له قبرًا بأربعة دنانير ووزع الباقي على أولاده (نصيب كل واحد ٩/ ١١ دينارًا)، وهشام بن عبد الملك أنجب أحد عشر ولدًا، وكان نصيب كل ولد من التركة مليون دينار، والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت في يوم واحد ولدًا من أولاد عمر يتصدق بمائة فرس للجهاد في سبيل الله، وأحد أولاد هشام يتسول في الأسواق!!

لأن صدق التوجه إلى الله يتعدى للأبناء والأولاد ويصنع الحياة الجميلة.. والصادق جرىء..

٢- الصدق منجاة:

فهذا الشيخ عبد القادر الكيلاني يقول: عقدت أمري منذ طفولتي على الصدق فخرجتُ من مكة إلى بغداد لطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين دينارًا لأستعين بها على معيشتي وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص فأخذوا القافلة كلها، وقال لي واحدٌ منهم: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا، فظن أني أهزأ، فتركني وسألني آخر فقلت: معي أربعون دينارًا، فأخذهم مني كبيرهم فقال لي: ما حملك على الصدق؟ فقلت: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها، فأخذت الخشيةُ رئيسَ اللصوص فصاح وقال: أنت تخاف أن تخون أمك وأنا لا

أخاف أن أخون عهد الله؟

ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائبٌ على يدك، فقال مَن معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا بسبب الصدق...

يا صاحبي:

فهل أنت لا تخاف أن تخون عهد الله.. وانظر إلى الموظف الذي يذهب بعمله بعد مضى ساعتين فأكثر ويُوَقِّع له صاحبه، أو يبلغ زميله أنه موجود وهو غير موجود.. وكذلك المهندس الذي لا يراعي ضميره في بناء العمارات، أو المهندس الذي لا يهتم بصيانة المصانع التي يعمل بها والأجهزة التي يستعملها غيره.. والمدرس الذي لا يراعي ضميره في توصيل المعلومة للطلاب حيث إنه ينتظرهم لإعطاء الدروس الخصوصية.

٣- أدِّ الفرض أولاً:

(من لم يؤدِّ الفرض الدائم لم يقبل منه المؤمن)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

٤- الله معك:

في غزوة الخندق حين قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].. فيقول أحدهم: يعدنا محمد ﷺ بسواري كسري وقيصر وأحدنا لا يأمن بولته.. ولكن الصدق مع الله والثقة به تصنع المعجزات فينتصر المسلمون وقل صدق الله. إنه فرز للراسب من الناجح، سراقة يلبس سمن ذلك ما قاله لسراقة بن مالك بن جعشم المدلجيّ: «كأنّي بك يا سراقة تلبس سواري كسرى» فقال سراقة متعجّبًا: كسرى بن هرمز!!

قال: نعم، وقد قال له هذا وهو مطارد في هجرته إلى المدينة يخاف الرصد ولا يكاد

يأمن على نفسه غوائل المشركين.

وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ، يفتح الله على المسلمين بلاد فارس والمدائن ويؤتى بالغنائم إلى المدينة، وألبس عمر سراقة سواري كسرى، وتحقّقت نبوءة الرسول علامة من علامات نبوّته، وآية من آيات صدقه، وأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

**وهذا أنس بن النضر «ليرين الله ما أصنع».. وتأمل قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ - وَبِهِ سُمِّيتُ أَنَسًا - عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِ لَمَّا قَدِمَ وَقَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاللهِ لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ سُبْحَانَهُ قِتَالًا لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ فَلَقِيَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: أَيْ سَعْدُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَاهُ بَيْنَ الْقَتْلَى بِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم، وَقَدْ مَثَّلُوا به، وما عَرَفْنَاهُ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ قال: وكنا نَقُولُ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ[1].

** نظرة على عبد الله ذي البجادين:

كان يتيمًا في الصغر، فلما عمَّه الفقر كفله عمه، فنازعته نفسه في اتباع الرسول ﷺ فهم بالنهوض، فإذا بقية المرض مانعة، فقال لسان التسويف للنفس: قفي حتى يتقدم العم، فلما تكملت الصحة نفد حبر المشتاق، فقال: يا عم كنت أنتظر سلامتك بإسلامك، وما أرى زمن زمنك ينشط، فقال له عمه: والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك!!

فصاح لسان عزمته: نظرة من محمد ﷺ أحب إليَّ من الدنيا وما فيها.

(١) رواه مسلم عن محمد بن حاتم، عن بهز بن أسد.

هذا مذهب المحبين إجماعًا من غير خلاف.

فعاد العم في هبته حتى جرده من الثياب، فناولته الأم بجادًا لها، فقطعه نصفين، فاتزر بواحد وارتدى بآخر، وخرج في حلة «دب أشعث أغبر .سُنَّة الأَحبابِ واحِدَةٌ... فَإِذا أَحبَبتَ فاستَبِنِ فنادى صائح الجهاد في جيش العسرة، فتتبع ساقة الأحباب، راكبًا عجز العزم مع الضجر، والمحب لا يرى طول الطريق، إنما يتلمح المقصد

فنزل إليه ملك الموت بتوقيع: ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي، فنزل رسول الله يمهد له اللحد، وصاح بأبي بكر وعمر: أدنيا إلي أخاكما، اللهم إني أمسيت عنه راضيًا فارضَ عنه، فقال ابن مسعود: ليتني كنت صاحب هذا اللحد(١).

فالصدق مع الله في السراء والضراء والصحة والمرض والفقر والغنى والخلوة والجماعة هو صفة لا تنفك عنك وحالها لا ينقطع عنك وسلوك لا يبتعد عنك..

قال ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»(٢).

فكم صلاة صلتها كانت هكذا؟..وكم من عبادة أديتها؟.. ألا تخشى أن يقول لك ربك: «هذا فراق بيني وبينك»؟!

وهذه طائفة أخرى:

قال ﷺ: «لأَعْلَمَنَّ أَقْوامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا».

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؛ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا

---

(١) اللطائف لابن الجوزي.
(٢) حسن: من حديث أبي سعيد الخدري، انظر صحيح الترغيب للألباني رقم: ٣٠.

بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»[(١)].

قال ﷺ: «الصدق طمأنينة»[(٢)].

وهذه منازل خيالية:

قال ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب. لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء. لا يبلغها غيرهم. قال: بلى. والذي نفسي بيده! رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[(٣)].

عبد الله بن المبارك:

وهذا عبد الله بن المبارك حج من خراسان وقال: من يريد منكم الحج؟

فأخبروه قال: من يريد الحج منكم فليدفع نفقته التي يحج بها، فدفعوا النفقة فوضع كل إنسان نفقته في صرة، فأخذ نفقاتهم فوضعها في صندوق في بيته وأغلق عليها، وأخذ من ماله وكان تاجرًا غنيًّا أغناه الله عز وجل، فأنفق عليهم في طريق الحج حتى ذهبوا إلى مكة ، ثم زاروا مسجد الرسول ﷺ، ثم قال: اشتروا لأصحابكم هدايا من أموالكم كأنه ينفق عليهم من مالهم، فاشتروا هدايا لأهلهم، فلما عادوا إلى خراسان ضيفهم جميعًا، ثم أخرج الصندوق فوزع عليهم أموالهم جميعًا، قالوا: كيف وقد صرفناها؟

قال: الله يبارك للحاج في نفقته، وهو لم يصرف من أموالهم درهمًا.

- وهذا ابن الفرات الوزير كان يتتبَّع أبا جعفر بن بسطام بالأذى ويقصده بالمكاره، فلقي منه شدائد كثيرة، وكانت أم جعفر قد عوَّدته منذ طفولته أن تجعل له في كل ليلة

(١) صحيح: رواه ابن ماجة عن ثوبان (٢/ ١٤١٨، رقم ٤٢٤٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن الحسن بن علي بن أبي طالب، وانظر صحيح الترمذي للألباني رقم: ٢٥١٨؛ وصحيح الترغيب رقم ٢٩٣٠، وصحيح الجامع رقم ٣٣٧٨.

(٣) صحيح: رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري، انظر صحيح مسلم رقم: ٢٨٣١.

تحت وسادته التي ينام عليها رغيفًا من خبز إذا ما أصبح تصدقت به عنه، فلما كان في مدة «أذية» ابن الفرات له دخل إلى ابن الفرات في حاجةٍ له، فقال له ابن الفرات: لك مع أمك رغيف من خبز؟ قال: لا..

فقال: لا بد أن تصدقني، فحدثه أبو جعفر بحديثه، فقال ابن الفرات: فإني بتُّ في البارحة وأنا أدبر عليك تدبيرًا لو تم لاستأصلتك، فنمت فرأيت في منامي كأن بيدي سيفًا مسلولًا، وقد قصدت لأقتلك به، فاعترضتني أمك بيدها رغيف تحميك به مني فما وصلت إليك، وكان ذلك المعروف طريقًا لاستصلاحه وصارا صديقين.

(تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة).

* * *

وقبل السلام

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله عز وجل: هل تشتهون شيئًا فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا و ما فوق ما أعطيتنا؟ قال: فيقول: رضواني أكبر»[1].

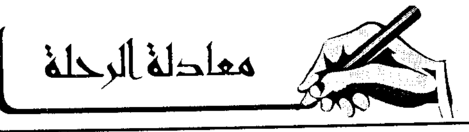


١ - اصدق الله في كلامك.

٢-صلاة الفرائض في المسجد.

٣- إتقان العمل.

٤- استحضار النية قبل كل عمل.



صدق النية+ صدق اللسان+ صدق العمل= صدِّيقًا عند الله.



---

(١) صحيح: على شرط الشيخين من حديث جابر بن عبدالله وانظر السلسلة الصحيحة رقم ١٣٣٦ .



الرحلة السابعة

قلبى سليم

ضربة البداية

قصة يوسف وإخوته:

بعد أن ألقوه في الجب وفرقوا بينه وبين أبيه وحرموا أبيه منه ثم دخل السجن وقضى فيه زمنا حتى مكن الله له وجعله على خزائن مصر فلما عرفوه قالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾.

وهنا كتب قلبه كلمات صدح بها لسانه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، ثم لما جاء أبوه مع إخوته: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فلم يقل أخرجني من الجب ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾، وقال أن السبب فيما حدث: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

حتى إن أول الناس دخولاً إلى الجنة، الزمرة التي طهرت قلوبهم؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُوَّة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًا»(١).

(١) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة رقم: ٣٠٧٣، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر رقم: ٢٨٣٤.



المحطة الأولى: صناعة قلب

اصنع قلبك:

صنع الفضيل بن عياض قلبه هذه الصناعة الربانية المطلوبة.. فخط حروف نظرية النجاة.. والدليل إلى طوق السلامة فى الحياة «لم يُدرك عندنا من أدرك بكثرة صلاة ولا صيام.. وإنما أدرك بسلامة الصدر والسخاء والنصح للأمة»..

ولكن الدنيا والأموال والزينة والتفاخر فى الأموال والأولاد.. طغت على القلوب فأعمتها بغشاوة.. وأخذتها فى غيبوبة عن تفكر قول ربها: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

وصاحب القلم السيال مصطفى صادق الرافعى يوجهنا إلى زاوية بلاغته فيقول: «إن الخطأ كل الخطأ أن تنظم الحياة من حولك.. وتترك الفوضى فى قلبك»[١].

لا ينفع.. إلا!!

ويتألق الإمام الشوكانى منبهًا على قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]

أى: «يوم لا ينفع فيه المال والبنون أحدًا من الناس.. والابن هو أخص القرابة وأولاهم بالحماية والدفع والنفع.. فإذا لم ينفع فغيره من القرابة والأعوان بالأولى.. والاستثناء..إلا حال من أتى الله بقلب سليم.. والقلب السليم قيل فيه: السالم من آفة المال والبنين»..

وقال الرازى: «أصح الأقوال أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة»[٢].

---

(١) وحى القلم.
(٢) فتح القدير.

حكاية رجل من أهل الجنة:

عن أنس بن مالك قال: كنا جلوسًا عند النبى ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة».. فطلع رجل من الأنصار نطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال.. فلما كان الغد قال النبى ﷺ مثل ذلك..

فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى.. فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مثل مقالته أيضًا.. فطلع ذلك الرجل فى مثل حاله الأولى..

فلما قام ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو فقال: إنى لاحيت (خاصمت) أبى.. فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت.. قال: نعم..

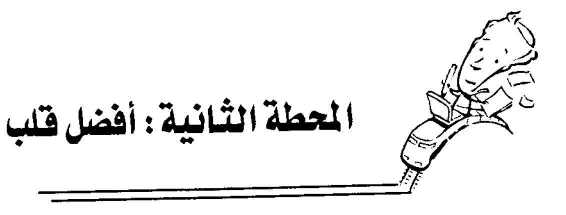
قال أنس: فكان عبد الله يُحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالى.. فلم يره يقوم من الليل.. غير أنه تعر - تقلب - فى فراشه ذكر الله -عز وجل- حتى ينهض لصلاة الفجر..

قال عبد الله: غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرًا.. فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أحتقر عمله.. قلت يا عبد الله: لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة..

ولكنى سمعت رسول الله يقول لك.. ثلاث مرات.. يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة.. فطلعت أنت الثلاث المرات.. فأردت أن آوى إليك فأنظر عملك فأقتدى بك.. فلم أرك عملت كبير عمل!!

فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله؟ قال: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه.. فقال عبد الله: هذه بلغت بك!!» (راجع مسند الإمام أحمد)..

كن بلسمًا إن صار دهرك أرقما ... وحلاوة إن صار غيرك علقما
إن الحياة حبتك كل كنوزها ... فلا تبخلن على الحياة ببعضها
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا ... وأحسن وإن لم تجز حتى بالثنا
وتله بورد الروض عن أشواكه ... وانس العقارب إن رأيت الأنجما
من ذا يكافئ زهرة فواحة ... أو من يثيب البلبل المترنما



المحطة الثانية: أفضل قلب

حديث الراحة:

عن عبد الله بن عمرو قيل: يا رسول الله ﷺ؛ أي الناس أفضل؟

قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان»..

قيل: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟

قال: «هو التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد»(١).

أيها المسكين:

اعلم أنه ليس أروح للمرء.. ولا أطرد لهمومه.. ولا أقر لعينه.. إلا أن يحيا سليم القلب مبرأ من وساوس الغضب والأحساد وثوران الأحقاد.. إذا رأى نعمة تنساق تسلق وراءها شاكرًا.. وإن أدهمته كربة ونازلته شدة تلوى بقلبه صابرًا محتسبًا..

النتيجة محسومة:

وبذلك يحيا ناصع الصفحة راضيًا عن الحياة.. وعن قضاء الله.. مستريح النفس.. منشرح الصدر.. هادئ الأعصاب.. لطيف الأنفاس..

.. فيكون قلب كبير..

أعمدته عواطف الحب المشترك.. الود الشائع.. وسقفه التعاون المتبادل.. المجاملة الرقيقة.. وصدق القائل جل فى علاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص، انظر صحيح ابن ماجة للألبانى رقم: ٣٤١٦.

لا.. ثم.. لا:

قال ﷺ: «لاَ تَقَاطَعُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَتَحَاسَدُوا وَكُونُوا إِخْوأنا كَمَا أَمَرَكُمُ الله»[١].

التقاطع.. التدابر.. التباغض.. التحاسد.. الهجران..

معانٍ شاعت وألفاظ تألقت فى مجتمعاتنا.. وكأن الطبيعى فى حياتنا أن نرى هذا يخاصم هذا.. وهذه تقاطع فلانة.. وذاك يهجر أخاه.. وذاك يسب أمه وأباه..

.. فانتبهوا يا مسلمون..

لا تأخذكم أنفسكم.. ولا تفتنكم دنياكم.. ولا تبخسكم مناصبكم.. ولا تخدركم مكانتكم.. فلا فرق بين عربى ولا أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح.. وقبل أن تستفحل بوادر الجفاء ويستحيل إلى عداوة فاجرة.. أو أحقاد غائرة.. شدد الحبيب ﷺ التنبيه: «لا يحق لمؤمن أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث.. فإن مرت به ثلاث.. فليلقه فليسلم عليه.. فإن رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر.. وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم.. وخرج المسلم من الهجرة»[٢].

فارفع سماعة الهاتف وابتدر الصلح مع من خاصمت.. صل ما انقطع.. اجمع ما انكسر.. حتى لا تهرب بك الأيام.. وتمر الشهور والأعوام..

فالحق بزمام نفسك وطوق نجاتك من حبيبك رَسُول اَلله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا.. فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حسناتِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حسناتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ؛ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»[٣].

مبدأ الجمال:

يصوغه لك القرآن الكريم على أكمل وجه فيقول الله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا

---

(١) صحيح: رواه مسلم عن شُعْبَة عَنِ الأَعْمَشِ باب : البر والصلة والأدب، انظر حديث رقم: ٦٧٠٤.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) صحيح البخاري عن أبى هريرة الرقاق باب ٤٨، انظر حديث رقم: ٦٥٣٤.

جَمِيلاً﴾.. فإذا خاصمت أو تخاصمت مع أحد فطيلة فترة الخصام لا تتحدث عنه بشر، أو تقلل من قيمته، أو تصدح بمعايبه.. وليكن أمام عينك زاد من أبى ذر حين شتمه رجل، فقال له: «يا هذا، لا تغرق فى شتمنا، ودع للصلح موضعًا، فأنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه!!»[1].

فاهجر يا حبيبنا الهجر الجميل.. وحين الهجر إذا وصلك أنه يتحدث عليك بما لا يليق ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾.. وتحمل على نفسك علَّ الله يحدث بعد ذلك أمرًا..

وذات مرة قال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرغن لك!! فقال: هناك وقعت فى الشغل!! قال: وكأنك تهددنى؟ والله لأن قلت لى كلمة لأقولن لك عشرًا..

فقال عمرو: وأنت والله لئن قلت لى عشرًا، لم أقل لك واحدة!! وحين الصلح وعودة تصافح القلوب قبل الأيادى فارع أدب (جدد حياتك): ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ وانضم لقافلة الحسن البصرى التى ترفع شعار المؤمن حليم؛ لا يجهل وإن جهل عليه؛ وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾[2].

وعفا الله عما سلف.. والمسامح... كريم... يا عم حسين...!!

* * *

---

(١) العقد الفريد.

(٢) تنبيه المغترين.



المحطة الثالثة: راقب قلبك

منظار فى كل أسبوع:

تصريح رسول الله ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا إِلاَّ رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا؛ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا؛ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»(١).

منظار فى كل عام:

بعد تراخى الليالى وامتداد الأيام وجرى الأعوام قال ﷺ: «إن الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويُؤخر أهل الحقد كما هم!!»(٢).

حل اللغز:

يا صاح: اجعل قدوتك حاتم الأصم عندما صارح نفسه وقال: «نظرت فى هذا الخلق فأحببت واحدًا وكرهت واحدًا.. فالذى أحببته من الناس لم يُعطنى.. والذى كرهته لم يأخذ منى شيئًا.. فقلت فى نفسى: من أين أُتيت؟ فعرفت أنه الحسد.. فطرحت الحسد من قلبى.. فأحببت الناس كلهم، وكل شىء لم أرضه لنفسى لم أرضه لهم»(٣).

الكل فى سفينة واحدة:

قال أهل السير: إن (جبلة بن الأيهم) آخر ملوك غسان حين رغب فى الإسلام.. أقبل إلى المدينة فى موكب كبير عليهم ثياب الوشى (خطوط تظهر الثوب) وهو لابس تاجه! ففرح عمر بن الخطاب بقدومهم..

---

(١) صحيح: رواه مسلم عن أبى هريرة البر والصلة والآدب باب ١١.. انظر حديث رقم:٦٧٠٩.
(٢) رواه البيهقى.
(٣) نزهة المجالس.

فلما جاء الموسم خرج جبلة للحج مع عمر، فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من فزارة فحل الإزار.. فلطمه جبلة على أنفه فهشمه وسال الدم!!

فاستعدى الفزارى عليه عمر فقال عمر لجبلة: ما دعاك لأن تلطم الفزارى؟ قال: إنه وطئ إزارى فحله.

قال عمر: أما وقد أقررت فإما أن ترضيه وإلا فعل بك مثل ما فعلت به!!!

قال جبلة: أيصنع هذا وأنا ملك وهو سوقة؟!

قال عمر: لقد سوى الإسلام بينك وبينه فما تفضله بشيء إلا بحسن العمل!

قال جبلة: والله لقد رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية!

قال عمر: إنه لكذلك.. قال جبلة: أخرنى إلى غد حتى أفكر فى الأمر يا أمير المؤمنين..

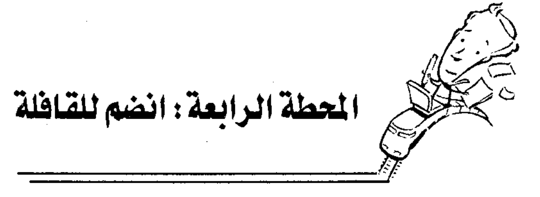
قال عمر: ذلك لك.. فلما كان جنح الليل خرج هو وأصحابه حتى دخلوا القسطنطينية على (هرقل) فتنصر جبلة!! وأقام عنده (مناقب عمر بن الخطاب).

وفى ذلك قال حافظ إبراهيم:

وفى حديث فتى غسان موعظة ... لكل ذى نعرة يأبى تناسيها
فى القول قويًّا رغم عزته ... عن الخصومة والفاروق قاضيها
وما الضعيف ضعيفًا بعد حجته ... وإن تخاصم واليها وراعيها!

ونلخص الموضوع فى كلمتين: أن من نتائج الغضب: الحقد والحسد والكبر؛ وبهما هلك من هلك وفسد من فسد، ومقتضيها مضغة القلب إذا صلحت صلح معها سائر الجسد..

* * *



المحطة الرابعة: انضم للقافلة

أول المُلبين:

قال ﷺ: «ينادى منادٍ يوم القيامة: أين الذين كانت أجورهم على الله عز وجل؟ فيقوم العافون عن الناس فيدخلون الجنة».

لذا قال الإمام السمرقندى: «عليكم بالصبر عند الغضب.. وإياكم والعجلة عند الغضب.. فإن فى العجلة ثلاثة أشياء وفى الصبر ثلاثة أشياء.. فأما الثلاثة التى فى العجلة:

فأحدها: الندامة فى نفسه.. والثانى: الملامة عند الناس.. والثالث: العقوبة عند الله تعالى..

وفى الحلم ثلاثة أشياء:

السرور فى نفسه.. والمحمدة عند الناس.. والثواب من الله تعالى.. فإن الحلم يكون مُرًّا فى أوله وحُلوًا فى آخره»[(١)].

وصدق القائل:

يقول صاحب المدارج: الجود عشر مرات ومنها: الجود بالعرض كجود أبى ضمضم من الصحابة كان إذا أصبح قال: «اللهم لا مال لى أتصدق به على الناس وقد تصدقت بعرضى فمن شتمنى أو قذفنى فهو فى حل».

ودعنى أحكِ لك الحكاية من البداية..

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم؟!

قالوا: ومن أبو ضمضم يا رسول الله؟

(١) تنبيه الغافلين.

قال: «كان رجل إذا أصبح يقول: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك، اللهم إنى وهبت نفسى وعرضى، فلا يشتم من شتمه ولا يظلم من ظلمه، ولا يضرب من ضربه»[١].

ومعن بن زائدة إنضم للعائلة:

كان معن بن زائدة أميرًا على العراق.. وكان حليمًا كريمًا يُضرب به المثل فيهما.. وقد أتى عليه أعرابى يمتحن حلمه.. فقال له:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

قال معن: نعم..أذكر ذلك ولا أنساه.... فقال:

فسبحان الذى أعطاك ملكًا وعلمك الجلوس على السرير

قال: سبحانه وتعالى.. قال:

فلست مسلمًا عمن عشت دهرا على معن بتسليم الأمير

قال: يا أخا العرب.. السلام سنة.... قال:

سأرحل عن بلاد أنت فيها ولو جار الزمان على الفقير

قال: يا أخا العرب.. إن جاورتنا فمرحبًا بك.. وإن رحلت فمصحوبًا بالسلامة.. قال:

فجد لى يا ابن ناقصة بشىء فإنى قد عزمت على المسير

قال: أعطوه ألف دينار يستعين بها على سفره.. فأخذها وقال:

قليل ما أتيت به وإنى لأطمع منك بالمال الكثير

قال: أعطوه ألفًا أخرى.. فأخذها وقال:

سألت الله أن يبقيك ذخرًا فما لك فى البرية من نظير

(١) رواه أبو داود والضياء عن أنس، انظر حديث رقم:٢١٨٥ في ضعيف الجامع.

فقال: أعطوه ألفًا أخرى..

فقال الأعرابى: يا أمير المؤمنين.. ما جئت إلا مختبرًا حلمك لما بلغنى عنه.. فلقد جمع الله فيك من الحلم ما لو قسم على أهل الأرض لكفاهم..

فقال معن: يا غلام.. كم أعطيته على نظمه (شعره)؟

فقال: ثلاثة آلاف دينار..

فقال: أعطه على نثره مثلها.. فأخذها ومضى إلى طريقه شاكرًا..

نساء على الطريق..

رحمكن الله يا أمهاتنا:

قال عوف بن الحارث: سمعت عائشة -رضى الله عنها- تقول: دعتنى أم حبيبة عند موتها فقالت: قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك كله وحللك من ذلك فقالت: «أسررتنى سرك الله» فأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك..

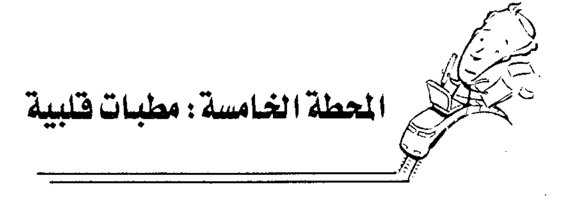
فإذا كان هذا حال أم حبيبة وهى عند الموت فكيف لما كانت حية؟!

وأنت أختاه.. وأنت أماه.. وأنت يا زوجتى..

أفى صدرك مكر لأحد؟ أو غيظ من فلانة؟ أو حقد على إنسانة؟

لأن سلامة الصدر والقلب الكبير دائمًا له بشرياته عند الموت فتخرج النفس راضية مرضية فيناديها الحق تبارك وتعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[الفجر: ٢٩، ٣٠].

* * *



المحطة الخامسة: مطبات قلبية

المطب الأول: شيطان خبيث يمكر بالقلوب:

تصريح قرآنى:

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ارجع لآخر سطر قرأته ترَ قوله: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ .. ولأنه الشيطان الذى يوغل الصدور ويلمز فى النفوس فيعد الناس بالأمانى الكاذبة والخيالات الفارغة..

وتمثل الشيطان للإمام أحمد وهو فى سكرات الموت فقال لأحمد وهو يعض على أصبعه: فُتنى يا أحمد فكم خدعت من رجل إلا أنت.. فقال أحمد: لا بعد لا بعد.. أى ما أمنت مكرك وما استأمنت لخداعك وما استسلمت لقيادتك.

مسالكه ومداخله:

فهذا الخبيث المكير يأتى إليك فيسخطك على القضاء والقدر فلا تنال من الله إلا السخط.. ويأتى إليك ليجعل همك وما يهمك الدنيا والدرهم والنظر لفلان، ولماذا هذا لفلان فتتعدى على القضاء.. وتظلم نفسك معك وتتحير بمالك أو جاهك.. والنتيجة صدر مكدر وقلب كئيب وبال معكر..

وخير شاهد على إلحاح الشيطان على نفسك وصيدك فريسة سهلة وإيقاعك فى شباكه قوله ﷺ: «أتى الشيطان للإنسان فقال له: لا تسلم فإنك إن أسلمت تحملت التكاليف فعصاه الإنسان فأسلم، فأتاه فقال: لا تهاجر فإنك إن هاجرت تركت أهلك وأطفالك فعصاه فهاجر؛ فأتاه فقال: لا تجاهد فإنك إن جاهدت قتلت وسفك دمك فعصاه فجاهد»[1].

---

(١) إسناده صحيح.

حصن والشيطان:

يقول صاحب الإحياء: «اعلم أن مثال حصن والشيطان؛ عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه؛ ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه، فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجبة، وهو فرض عين على كل عبد مكلف، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضًا واجب، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله؛ فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه كثيرة».

من يحرمهم التاج:

ونشير إلى أكبر هذه الأبواب العظيمة، الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.. وإذا أردت برهانًا سريعًا ودليلاً واضحًا فأدع المقام لأبى عبد الرحمن السلمى عن أبى موسى قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده فى الأرض فيقول: من أضل مسلمًا ألبسته التاج فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته.. قال: يوشك أن يتزوج..

ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى عق..

قال: يوشك أن يبر..

ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى زنا..

قال: أنت..

ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى شرب الخمر..

قال: أنت..

قال: ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى قتل، قال: أنت أنت..

المطلب الثانى: الاختلاف لا يفسد للود قضية:

صور مشرفة:

فى يوم من الأيام صلى الإمام الشافعى الصبح قريبًا من مقبرة أبى حنيفة فلم يقنت.. والقنوت عنده سنة مؤكدة.. فقيل له ذلك فقال: «أخالفه وأنا فى حضرته؟!!»..

وقال الليث بن سعد: «لقيت مالكًا فى المدينة فقلت له: إنى أراك تمسح العرق عن جبينك.. قال: عرقت مع أبى حنيفة.. إنه لفقيه مصرى.. قال الليث: ثم لقيت أبا حنيفة وقلت له: ما أحسن هذا الرجل فيك (يشير إلى مالك) فقال أبو حنيفة: ما رأيت أسرع منه بجواب صادق ونقد تام»..

الغزالي يُكمل الصورة:

قال الإمام الغزالى: إن أربعة من العميان وقفوا حول فيل.. فلمس كل واحد منهم أقرب ما يقابله.. فمسك أحدهم خرطومه وقال: إن الفيل ما هو إلا خرطوم طويل رفيع..ولمس الثانى أذنه وقال: لا إن الفيل ما هو إلا صفحة جلدية واسعة..والثالث لمس رجله فقال: لا.. بل هو عمود مستدير.. ولمس الأخير جسم الفيل وقال: لا بل هو حائط عريض أملس..

ويعلق: «فلو أن هؤلاء الأربعة لم يتعصب كل منهم لرأيه وتركوا فرصة للتفاهم فيما بينهم، ولا يكون هذا التفاهم إلا إذا افترض كل منهم أن فى رأى غيره بعضًا من الحقيقة.. ولو امتدت يد كل منهم إلى مواضع أيدى زملائه فيلمس ما لمسوا فلن تكون عند كل واحد منهم صورة كاملة عن الفيل».

ويحسم المشكلة:

عَنِ عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ.. وَسَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلاَفَهَا فَجِئْتُ بِهِ النَّبِىَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَعَرَفْتُ فِى وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ وَقَالَ: «كِلاَكُمَا مُحسن.. وَلاَ تَخْتَلِفُوا.. فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»[1].

وقف طفل صينى يتصبب عرقًا أمام كتلة الخشب الملقاة فى حديقة البيت.. وهو يحاول زحزحتها من مكانها ليزرع مكانها حوض زهور.. ولكن بالرغم من كل ما بذل من مجهود.. ظلت كتلة الخشب فى مكانها..

---

(١) صحيح: رواه البخارى أحاديث الأنبياء باب ٥٤، انظر حديث رقم: ٣٤٧.

وكان والده يراقبه من بعيد وأخيرًا اقترب منه وسأله: يا بنى.. هل استخدمت كل قوتك؟

أجاب الصبى مندهشًا: إننى من الصباح أستخدم كل قوتى..

قال الأب: «لا.. لم تستخدم قوتك كلها بعد.. فأنت حتى الآن لم تطلب منى أن أساعدك».

ويقول رجل الأعمال كن كراجن: «فى بناء علاقاتك.. عامل كل فرد على أنه مهم.. وهو بالفعل كذلك.. فلا يوجد إنسان بلا أهمية»..

ومن قول السلف يتعلم الخلف: «لكى يحبك الناس أفسح لهم طريقهم.. ولكى ينصفك الناس افتح لهم قلبك.. ولكى تنصف الناس افتح لهم عقلك.. ولكى تسلم من الناس تنازل عنهم».

المطب الثالث: كثرة الخصام والعناد:

يا أخى.. طال الخصام:

أخى.. أختاه.. أمى..أبتاه..

من الآن تسطير صفحة جديدة وبالورقة والقلم، كن مسامحًا واكتب برقية لكل من خاصمك هو أو خاصمته أنت.. مدونًا فيها: «يا أخى.. طال الخصام» وأحكى لك الحكاية من البداية..

فى يوم من الأيام حدث خلاف بين الحسين بن على بن أبى طالب وبين محمد بن الحنفية «وهو أخو الحسين ولكن من أم غير السيدة فاطمة تزوجها سيدنا على بعد وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها»..

وحينما طال هذا الخصام أرسل محمد إلى الحسين هذا الخطاب.. «يا أخى.. طال الخصام وطال البعاد وأنت خير منى وأمك (السيد فاطمة) خير من أمى، وخيرنا الذى يبدأ بالسلام، وإنى أخشى أن أبدأك بالسلام فأكون خيرًا منك، فإذا وصلك خطابى هذا

فابدأني بالسلام لأنك خير مني »..

فيا ألله.. ويا للعجب.. فيا أحباب..

طال الخصام.. تنازع الأقارب على الميراث..

وتشاجر الأبناء وقُطِّعت الأرحام.. وتضاربت الآراء وزاد العناد..وعُقَّ الآباء.. وصرخت الأمهات..

يا أصحاب القلب الكبير..

ألا تدركون.. وتفهمون.. أن الرحم المقطوعة والعلاقات المبتورة والقلوب المعقودة هذه ستشتكيك فى يوم لا ريب فيه، وما أروع الأثر: «تأتى الرحم يوم القيامة وتقف عند الصراط وكل إنسان سيأتى ليجتازه فتقول الرحم: يا رب لا يجتاز الصراط حتى يؤدى حقى »..

وباختصار.. لكى تُقلد وسام القلب الكبير فهو جواد عند الخصومة.. سهل عند المنازعة.. يسير عند الجدال.. صفوح عن المعاتبة.. ليس ثقيلًا فى مطالبة.. عنيدًا فى خلافه.. شرسًا فى طباعه.

تغليب نفسية التغافر:

أوقدها الزاهد ابن السماك واعظ هارون الرشيد لما قال له صديق: «الميعاد بينى وبينك غدًا نتعاتب».. كأنها كانت هفوة من ابن السماك أو زلة تعكر لها قلب صديقه، فقال له ابن السماك «بل.. بينى وبينك غدًا نتغافر».. وشعارهم

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

ويعلق الراشد: «وهو جواب يأخذ بمجامع القلوب ملؤه فقه وواقعية يشير إلى وجود قلب وراء هذا اللسان يلذعه واقع المسلمين وتؤلمه أسباب تفرقهم، وكذلك يكون استدراك الوازن لتسرع الحسّاس.. فلماذا التعاتب المكفهر بين الإخوان؟ كل منهم يطلب من صاحبه أن يكون معصومًا.. أليس التغافر أولى وأطهر وأبرد للقلب؟ أليس جمال

الحياة أن تقول لأخيك كلما صافحته: رب اغفر لى ولأخى هذا.. ثم تضمر فى قلبك أنك قد غفرت له تقصيره تجاهك؟ أو ليس عبوس التعاتب تعكيرًا تصطاد الفتن فيه كيف تشاء؟ بلى والله..

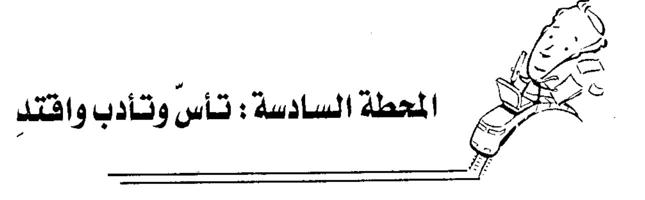
فلا تخدش -بالله عليك- وجه محبة منيرة لا زلت فذًّا فيها.. والناس من حولك تستهلكهم العداوات.. وإلا وضعت نفسك على شفير الاستهلاك.. إن التغافر خير».

والشعراوى.. سبق فنصح:

يقول: «زيدوا يزدكم الله، فالمحبة فى الله هى الميل للخير الأبقى، فحين أحببت الله أحببت فيه كل خلقه وكل ما يوصل إليه، والحب فى الله يعنى أن نطرح الأغراض الدنية التى تفنى وتزول ليبقى الحب الذى يعينك على ذكر الله حين تغفل ويساعدك بالتمسك بما له بقاء..

ويجب ألا يقلق المؤمن لفراق الأحباء.. لأننا نلتقى إن شاء الله مع من نحب فى الآخرة.. فقد نظر أحد أصحاب رسول الله إليه ﷺ وبكى فقال له: «ما يبكيك؟» قال: أذكر دنياى ونحن معك.. ثم أذكر آخرتى وأنت فى مقامك الأعلى عند ربك ونحن فى مقام آخر.. فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وهذا يعنى أن المرء مع من أحب.

* * *



المحطة السادسة: تأسّ وتأدب واقتدِ

رفق مطلوب:

قال الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ المقصود منه «أمر الرسول ﷺ أن يصبر على سوء أخلاقهم وألا يقابل أقوالهم الركيكة ولا أفعالهم الخسيسة بأمثالها»:

فكن رقيقًا.. حبيبًا.. تألف وتؤلف..

فقال الرسول ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»(١).

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ الْيَهُودُ يُسَلِّمُونَ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ يَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْكَ.. فَفَطِنَتْ عَائِشَةُ إلى قَوْلِهِمْ فَقَالَتْ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ..

فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ.. إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِى الأَمْرِ كُلِّهِ».

فَقَالَتْ: يَا نَبِىَّ اللهِ أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا يَقُولُونَ؟

قَالَ: «أَوَ لَمْ تَسْمَعِى أَنِّى أَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ وَعَلَيْكُمْ»(٢).

والخلاصة القاطعة من حبيب قلبك النَّبِىِّ ﷺ قال: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ»(٣).

وفُضالة.. يحكى لك:

يا صاح:

ما أجمل تشبهك بحبيب قلبك ﷺ، فأثناء طواف النبى ﷺ يأتى رجل يدعى فضالة.. ويضع خنجره فى ملابسه ويمر خلف النبى ﷺ ويقترب منه رويدًا رويدًا، ويريد أن تكون

---

(١) صحيح: رواه مسلم عَنْ عائشة، البر والصلة والأدب، باب ٢٣ انظر حديث رقم: ٦٧٦٧.
(٢) صحيح: رواه البخارى عن عائشة الدعوات باب ٥٨، انظر حديث رقم: ٦٣٩٥.
(٣) صحيح: رواه مسلم عَنْ جَرِيرٍ، البر والصلة والأدب باب ٢٣ انظر حديث رقم:٦٧٦٣.

رقبة النبى ﷺ عما قريب أعلى خنجره ويدفن حقده.. ويدخر غيظه ليتخلص من الحبيب ﷺ.. وحين تقترب الخطوات فلم يبقَ من وجهة نظر فضالة فى حياة النبى ﷺ إلا دقيقة من الزمن وخطوة واحدة تفصله عن نهايته.. فيشعر به الحبيب ﷺ ويقول له: «بم تحدثك نفسك يا فضالة؟».

فيقول فضالة: أذكر الله..

فيبتسم النبى ﷺ ويقول له: «اتقِ الله يا فضالة».

أصدقائى..

أيعلم النبى ﷺ أنه سيقتله ويقول له: اتق الله؟! ما كل هذا العفو والسماح والرحمة

وأنت يا أخانا.. وأنت أختنا..

إذا أذاك جارك.. إذا أضرتك يا أختاه صاحبتك أو جارتك.. ماذا أنت فاعلة؟!

وعودة للزمن الجميل مع الحبيب ﷺ.. فيرفع النبى ﷺ يده الشريفة ليس ليلطم وجه فضالة.. ولا لإعطائه ما يستحق من الضرب.. بل ليمسح به صدر فضالة.. فينتفض فضالة من موقف النبى ﷺ معه.. وقبل وضع النبى ﷺ يده على صدر فضالة.. كان فى قلبه كل كره وبغض ومعلق لوحة على صدره مكتوب فيها ما قاله فضالة: «كان أبغض أهل الأرض إلى قلبى فما رفعها حتى صار أحب أهل الأرض إلى قلبى»..

يا للعجب صار أحب الخلق إلى فضالة! بماذا؟ وكيف؟!..

والنجاح.. رأى العين:

مسحه على القلب بابتسامة.. بامتصاص الغضب.. بالتحلى بالعفو.. بالمسامحة والمصافحة.. فأسلم فضالة بل وصار من أفضل الصحابة وأميزهم..

القدوة.. حين تتواجد:

ألم يأتك خبر النبى ﷺ يوم فتح مكة التى أذته سنينًا طويلة ودهورًا مديدة وأخرجوه منها متألمًا تاركًا ماله وتجارته وكل ما عليه ويظل الاضطهاد ويكون مصيره الطرد من

المكان الذى تربى فيه.. والذى استقبل فيه الوحى والذى رتب حياته عليه.. وحينما عاد النبى ﷺ مع عشرة آلاف من الصحابة إلى مكة، وكان الناس كلهم فى حالة ترقب مطأطئي الرءوس ومفتحى الآذان وراجفى القلوب حتى يعلموا ماذا سيفعل معهم الحبيب ﷺ.. فما كان منه إلا أن يُعلم الأمة وصرح بمقالته المشهورة: «يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا: خيرًا.. أخ كريم وابن أخ كريم.. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[١].

كن صاحب رؤية:

لأن نبيك علمك الرحمة والعفو عمن أكل معهم وتربى بين ظهرانيهم وهم على غير دينه، فما بالك بمن أكل من قصعتك والجدار هو الجدار والباب فى وجه الباب؟! وأحب أن أناديك: إنك مجاهد فى ساحة من الناس تراها تشتم هذا وتفتك بهذا وإذا وقع الضعيف الذى ليس له ظهر كثرت حوله السكاكين.. وتشفت القلوب فيه..

فأنت مسلم ألا تدرى؟! أنت محاسب ألا تهتم؟! أنت مسئول ألا تنتبه؟!..

إلى الباحثين:

يا صاحبى..

إذا كنت تسعى بحثًا عن القلب الكبير والصدر السليم.. فتعلم.. وتصبر وترفق لتكن أحب الخلق إلى الزملاء.. الأصدقاء.. الأهل.. بل والناس أجمعين.. ولا تنس انتظار النبى ﷺ لك عند الحوض وتقليدك وسام الربانية ينتظر منك تحديد الموعد.. فاقتدِ.. وقلد.. وتشبه.. وسامح.. واعف.. واغفر.. وتجاوز..

فيا حبيب قلبى..

بان لك الهُدى ولاحت الطريق.. فشمر أيها الحبيب واخرج من المضيق.. ويا هذا صفة المؤمن الرفق والسماح، والله يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف.. وإذا أحب الله أهل بيت أدخل بينهم الرفق..

---

(١) انظر السلسلة الضعيفة للألبانى رقم: ١١٦٣.

وقبل السلام

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ (الطريق) مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[١].

حال أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوانا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

يقول الإمام الشوكاني: «أي: إخوة في الدين والتعاطف.. وعلى صورة مخصوصة وهي التقابل ينظر بعضهم إلى وجه بعض.. وقيل: هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور..» ﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ «نعيم خالص ولذة محضة تحصل لهم بسهولة.. وتوافيهم مطالبهم بلا كسب ولا جهد»[٢].

* قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾.

«هذا من جملة ما ينعم الله به على أهل الجنة أن ينزع الله ما في قلوبهم من الغل على بعضهم بعضًا.. حتى تصفو قلوبهم ويود بعضهم بعضًا.. فإن الغل لو بقي في صدورهم كما كان في الدنيا.. لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر.. ونزع الغل في الجنة أن لا يحسد بعضهم بعضًا في تفاضل المنازل»[٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم عَنْ أبي هريرة، البر والصلة والأدب باب ١٢ انظر حديث رقم: ٦٧١٤.
(٢) فتح القدير.
(٣) فتح القدير.



١- ارفع سماعة الهاتف وابدأ الصلح مع من خاصمت.

٢- أكثر الدعاء «اللهم هب لي قلبًا سليمًا».

٣- أحسن الظن بالناس وعاملهم بالتي هي أحسن.



حب الناس + حسن الخلق + تسامح = سلامة صدر





الرحلة الثامنة

نقطة تحول

ضربة البداية

أصدقائى:

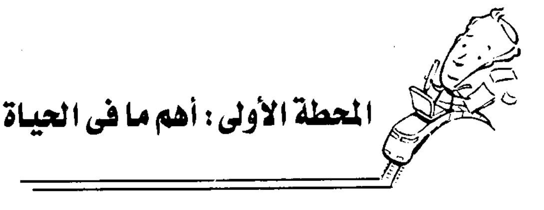
كثير منا يفعل الطاعة ويعمل الخير ويقضى وقته فى فائدة مثمرة.. ولكن ربما تكون خسارته كبيرة بل وخسارة فادحة!!.. والسبب أنه غفل عن أهم ما فى الأمر وهو نيته!!

وربما يتساءل الشباب: وهل لا بد من النية فى كل عمل؟!..

فأجيب وأقول:

نعم وطبعًا وحتمًا ولا بد أن يكون لك فى كل عمل نية وليست نية واحدة بل نيتين وثلاثًا واربعًا.. وعشرًا إلى سبعين نية!!.. وهذه هى نقطة التحول بعينها..

* * *



المحطة الأولى: أهم ما فى الحياة

النية: هى قصد القلب، فقبل العمل تسأل نفسك سؤالًا.. لماذا أقوم به؟! والرد هو مكمن النية..ولذلك وصف الثوري الصحابة: «كانوا يتعلمون النية كما تتعلمون العمل».. ويزيد الأمر أهمية تصريح الحسن البصرى: «إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات»؟!!

حديث مقلق:

تمعن قول النبى ﷺ: «إن العبد ليعمل أعمالًا حسنة فتصعد الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى..

فيقول: ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بما فيها وجهي، ثم ينادي الملائكة: اكتبوا له كذا وكذا.. اكتبوا له كذا وكذا..

فيقولون: يا ربنا إنه لم يفعل شيئًا من ذلك..

فيقول الله تعالى: «إنه نواه»(١).

يا صاحبى: العمل بغير نية أو إخلاص كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه!!

وحديث مهم جدًّا جدًّا:

يَقُولُ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى الله وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إلى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(٢).

وهنا قال كثير من أهل العلم: إنّ هذا الحديث يمثل ربع الدين، بل ذهب بعض أهل

---

(١) إسناده حسن من حديث أنس بن مالك، انظر تخريج الإحياء للعراقى ٥/ ٨٧.

(٢) صحيح: من حديث عمر بن الخطاب، انظر صحيح أبي داود رقم: ٢٢٠١؛ وغاية المرام للألبانى رقم: ٤٠١.

العلم إلى أن هذا الحديث يعد بمثابة ثلث هذا الدين.. هل فكرت فى ذلك؟! هل تدبرت المعنى؟! وهل استوعبت القضية؟!..

فقراء النية:

يا صاحبى: علام ترضى لنفسك أن تقوم بالطاعة الواحدة التى تلزم زمنًا قدره كذا دقيقة.. وأنت بالفعل تقوم بهذه الطاعة وتستغرق ذلك الوقت.. فبدلاً من أن تحصل على ثواب متعلق بنية واحدة.. وتكون فقيرًا فى النية..

أن تعدد نواياك وتزيدها وذلك عن طريق قراءة فضائل الأعمال والتدرب على النية قبل العمل ووسطه وبعده...

ولذا أعلنها يحيى بن معاذ الرازى: «مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب»..

وشرط واجب التواجد:

سأل رجل أعرابى رسول الله ﷺ وقال له: يارسول الله، أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟

فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، فالتفت إليه من الجهة الأخرى..

وقال الرجل: يا رسول الله، أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟

فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له» فجاءه من قبل وجهه...

وقال: يارسول الله، أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟

فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له».

ثم قال ﷺ: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له وابتغى به وجهه**»[1].

يا أخانا: هذا الحديث يدق ناقوس الخطر ويطلق صافرة الإنذار.. أن انتبه لعملك وتفقد قلبك وراجع نيتك وحاسب نفسك على عملك..

---

(١) سنن النسائى، و سنن أبى داود، حسن: رواه النسائى عن أبى أمامة، وانظر السلسلة الصحيحة.

كم من صلاة اصطنعت فيها الخشوع لأن هذا يراك؟ وكم من مرة قرأتِ فى مصحفك عندما أتت صاحبتك تسألك عن صيامك فى رمضان؟ وكم من مرة صمت يومًا ليقول أصحابك ذلك؟ وكم من عمل خير قدمته ليقول الناس؟ وكم من صدقة لتتباهى بها؟!.. وكم وكم وكم؟؟؟؟!!!

مراجعة حساب:

راجع أيامك وانظر بتأمل على ما قدمت وفعلت.. وهل كانت لله أم لغيره؟! وهل كانت خالصة تبتغى بها الأجر والثواب أم تشتهر بها نفسك ويشار إليك بالأصابع؟!..

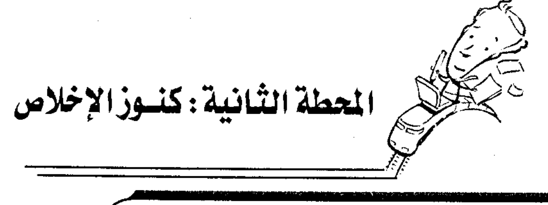
قال محمد بن سعيد المروزى: « الأمر كله يرجع لأصلين.. فعل منه تعالى بك المطلوب منك الرضا عنه.. وفعل منك له المطلوب فيه الإخلاص.. بذلك تسعد فى الدارين» ..

فرق بين الصدق والإخلاص:

الصدق يكون طيلة الوقت.. ويكون مع كل عمل.. وأنت تراقب الله فى كل تعاملاتك وحركاتك..

أما الإخلاص فهو فرع من الصدق .. ولا يكون إلا عند العمل نفسه.. والناس لايعرفون أنك مخلص أم غير مخلص؟!..

* * *



المحطة الثانية: كنوز الإخلاص

الكنز الأول: سر العبودية وقوتها الروحية:

قال ابن حزم: «النية سر العبودية ولروحها ومحلها فى العمل كالروح فى الجسد»..

وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

يحكى أن:

عابدًا سمع قومًا يعبدون شجرة من دون الله، فحمل فأسًا وذهب ليقطع تلك الشجرة، فلقيه إبليس في صورة شيخ، فقال له إبليس: إلى أين؟ وأي شيء تريد؟ يرحمك الله.

العابد: أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله.

إبليس: ما أنت وذاك؟ تركت عبادتك وتفرغت لهذا. فالقوم إن قطعتها يعبدون غيرها.

العابد: لا بد لي من قطعها.

إبليس: أنا أمنعك من قطعها.

فصارعه العابد وضربه على الأرض، وقعد على صدره.

فقال له إبليس: أطلقني حتى أكلمك، فأطلقه فقال له: يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا، وله عباد في الأرض لو شاء أمرهم بقطعها.

العابد: لا بد لي من قطعها.

فدعاه للمصارعة مرة ثانية، وصرعه العابد. فقال له إبليس: هل لك أن تجعل بيني وبينك أمرًا هو خير لك من هذا الذي تريد؟

العابد: وما هو؟

إبليس: أنت رجل فقير ، فلعلك تريد أن تتفضل على إخوانك وجيرانك وتستغني عن الناس.

العابد: نعم.

إبليس: ارجع عن ذلك ، ولك عليَّ أن أجعل تحت رأسك كل ليلة دينارين تأخذهما تنفقهما على عيالك ، وتتصدق منهما فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة، فتفكر العابد وقال: صدقت فيما قلت ، فعاهدني على ذلك وحلف له إبليس وعاد العابد إلى متعبده، فلما أصبح العابد رأى دينارين تحت رأسه ، فأخذهما ، وكذلك في اليوم الثاني. فلما كان في اليوم الثالث وما بعده لم ير العابد شيئًا ، فغضب وأخذ الفأس وذهب نحو الشجرة ليقطعها ، فاستقبله إبليس في صورة ذلك الشيخ الذي لقيه أول مرة، وقال له إبليس: أين تريد؟

العابد: إلى قطع هذه الشجرة.

إبليس: ليس إلى ذلك من سبيل.

فتناوله العابد ليغلبه كما غلبه من قبل ذلك.

فقال إبليس: هيهات هيهات! وأخذ العابد وضربه على الأرض كالعصفور ، ثم قال: لئن لم تنته عن هذا الأمر لذبحتك.

فقال العابد: خلِّ عني وأخبرني كيف غلبتني؟

فقال إبليس: لما غضبت لله تعالى سخرني الله لك وهزمني أمامك. والآن غضبت للدنيا ولنفسك فصرعتك [1].

(١) كتاب عجائب المخلوقات، للإمام القزويني.

درس عملى

يا أختنا: ما أخبار حجابك؟! هل هو لله أم للموضة أم لا ترتدينه وفقًا للوجاهة الاجتماعية وهروبًا من استهزاء الأصدقاء؟!

يا أخانا: ما أخبار إتقان عملك؟! هل تذهب متأخرًا وغيرك ينوب بالتوقيع لك؟! هل تتقن عملك؟ أترضى ربك.. أم كما يقول العامة (على قدر فلوسهم.. وأنا لن أغير الكون؟).

يا أختنا: ما أخبار صلاتك؟! هل تؤدى أم تترك؟ وهل تؤدى لله؟أم أن صديقاتك يصلين عندما تكونون سويًا فلابد أن تكونى مثلهم؟!

يا أخانا: المال الحرام.. ماذا يمثل بالنسبة لك؟!! فكر قليلا!!

الكنز الثانى: أبلغ من العمل:

قالَ ﷺ: «إن أقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبًا و لاواديًا إلا و هم معنا، حبسهم العذر»[(١)].

وقالَ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي، فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ»[(٢)].

قال أهل العلم:

«هذا من فضل الله وإحسانه، أن السيئة لا تكتب إلا إذا عملها، وفيه بيان أن السيئة إذا تركها الإنسان من أجل الله كتبت له حسنة، وأنه إذا هم بها ولم يعملها، فلا تكتب

(١) صحيح: من حديث أنس بن مالك، انظر صحيح الترغيب للألبانى رقم: ١٢.
(٢) صحيح: رواه البخاري عن أبى هريرة رقم: ٧٥٠١.

عليه، وإن عملها كتبت عليه واحدة، والسيئة إذا عملها الإنسان، فلها ثلاثة أحوال:

١ - الحالة الأولى: أن يتركها خوفًا من الله، ففي هذا الحال تكتب له حسنة، كما في هذا الحديث إنما تركها من أجلي وفي الحديث الآخر إنما تركها من جرائي، فإذا هم بالسيئة، ثم تركها من أجل الله وخوفًا منه كتبت له حسنة؛ لأن هذا الخوف وهذا الترك من أجل الله حسنة يؤجر عليها.

٢ - الحالة الثانية: أن يترك السيئة عجزًا عنها، فيرد أن يعملها لكنه عجز، عن فعلها، وفعل بعض الأسباب التي تمكنه من فعلها، فهذا تكتب عليه سيئة؛ لحديث القاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول، قال:

» فالمقتول في النار؛ لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه، لكن غلبه صاحبه وبذل الأسباب التي تمكنه من قتله، لكن ما استطاع ذلك، فعوقب على هذه السيئة لأنه تركها عجزًا، فإذا ترك السيئة عجزًا عنها كتبت عليه سيئة.

وهذا له حالتان:

- الحالة الأولى: أن يفعل بعض الأسباب التي تمكنه من فعلها، فهذا يعاقب بالنية وبفعل الأسباب.
- الحالة الثانية: أن لا يعمل شيئًا من السيئات لكن ينوي فعلها، وهناك مانع يمنعه، فيعاقب على هذه النية السيئة.

٣- الحالة الثالثة: أن يترك السيئة ذهولا وغفلة، لا خوفًا من الله، ولا عجزًا عنها، فهذا لا تكتب له ولا عليه.

فالخلاصة:

«أن السيئة إن تركها خوفًا من الله، فتكتب له حسنة، وإن تركها عجزًا عنها، فتكتب عليه سيئة، وإن تركها ذهولا وإعراضًا، فلا تكتب له ولا عليه.

أما الحسنة فإذا هم بها، ولم يعملها كتبها الله حسنة، وإن هَمَّ بها وعملها كتبت له عشر

حسنات إلى سبعمائة ضعف، على حسب هذا العمل وتأثيره، وعلى حسب ما يقوم في القلب من الإخلاص، فقد تكتب له الحسنة عشرين، وقد تكتب له ثلاثين، وقد تكتب أربعين، وقد تكتب سبعمائة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فائدة:

يا صاحبي: ما هي نيتك الآن؟ ما هي نيتك غداً؟ ما هي نيتك العام القادم؟

الكنز الثالث: حفـــــظ الله:

قال ابن عباس: «إنما يحفظ الرجل على قدر نيته».

قال سالم بن عبد الله لعمر بن عبد العزيز: «واعلم أن عون الله للعبد على قدر نيته».

قال ﷺ: «من جعل الهموم همًّا واحدًا، هم المعاد، كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أي أوديتها هلك»(١).

الكنز الرابع: أجرك لا يتوقف:

خذ هذه: عن أبي يزيد معن بن يزيد بن الأخنس رضي الله عنهم، (هو وأبوه وجده صحابيون)..

قال: كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها فوضعها عند رجل في المسجد فجئت فأخذتها فأتيته بها، فقال: والله ما إياك أردت فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فقال: «لك ما نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن»(٢).

---

(١) حسن: من حديث عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر ومحمد بن المنكدر، انظر صحيح الجامع للألباني رقم: ٦١٨٩.
(٢) صحيح: رواه البخاري عن معن بن يزيد السلمي، انظر صحيح البخارى ١٤٢٢؛ وانظر صحيح الجامع للألبانى رقم: ٥١٥٧.

خذ هذه:

كان هناك رجل تحدث عنه الرسول ﷺ أنه قال: «لأتصدقن الليلة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبح الناس يتحدثون: تصدق الليلة على سارق، فقال: الحمد لله، على سارق! لأتصدقن الليلة، فخرج بصدقته فوضعها في يد بغي (أي زانية) فأصبح الناس يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: الحمد لله، على زانية! لأتصدقن الليلة، فتصدق فوقعت صدقته في يد غني، فأصبح الناس يتحدثون؛ تصدق الليلة على غني، فقال: الحمد لله، على سارق وزانية وغني! فقيل: إن صدقتك قد قبلت، أما السارق فلعله يستعفف ويستغني بما أعطيته عن السرقة، وأما الزانية فلعلها تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فيتصدق»(١).

خذ هذه:

قال الرسول ﷺ: «الدال على الخير كفاعله»(٢).

فإنك يا صديقى إن دعوت أحدًا ثم مت فلك ثوابه وأنت فى قبرك.. وعملك وأجرك لا يتوقف!!

فانتهز الفرصة.

الكنز الخامس: تحويل العادات إلى عبادات:

* هذا السلطان نور الدين محمود:

كان يلعب بالكرة وعندما احتجّ عليه أحد الزاهدين من أصحابه؛ لأنه يلهو ويعذب الخيل لغير فائدة دينية.. قال: «والله ما حملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر، وإنما نحن في ثغر، والعدو قريب منا، وبينما نحن جلوس إذ يقع صوت فنركب في الطلب، ولا يمكننا أيضًا ملازمة الجهاد ليلًا ونهارًا شتاء وصيفًا؛ إذ لا بد من الراحة للجند، ومتى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة برقم: ١٣٥٥؛ ومسلم في كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر التصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها (١٠٢٢/ ٧٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح.

تركنا الخيل على مرابطها صارت جمامًا لا قدرة لها على إدمان السير في الطلب، ولا معرفة لها أيضًا بسرعة الانعطاف في الكر والفر في المعركة، فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب فيذهب جمامها، وتتعود سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب، فهذا والله الذي يبعثني على اللعب بالكرة».

*** أبو موسى ومعاذ:**

بعث أبو موسى ومعاذ إلى اليمن. وفي آخره قال أبو موسى لمعاذ: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟

قال: «أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»[1].

درس عملي

هذا هو الفهم بالمنظور الشمولي الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.. فالرياضة يا شباب لها أهدافها ونياتها.. وليست لمجرد إبراز العضلات أو التباهي باللياقة، وهكذا كما نرى بين أصحابنا من الشباب.. وكذلك جميع ما نستخدمه فى الحياة من إتقان العمل وبر الوالدين.. وهكذا..

الكنز السادس: يبعث الناس على نياتهم:

يحشر الناس على قدر نياتهم.. وسبب خلود الكافر فى النار أن نيته دائمًا هى معصية الله عز وجل..

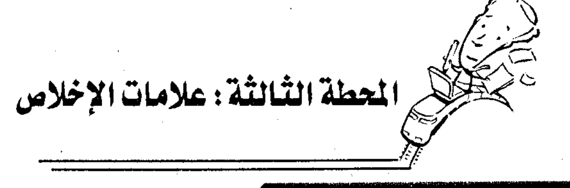
فيا صاحبي: راجع نيتك الآن.. ولو مت حالا كيف سيكون حالك؟!.. وأخبرنى عن نيتك؟!

(١) روى البخاري في صحيحه عن أبي بردة.

وما ملأ السمع والبصر على الساحة الشبابية إدمان المواقع الإباحية ومن مات أمامها كما نسمع ونرى.. كل يوم فى الصحف والمجلات وغيرها.. ومن مات أمام مباراة كرة لأن فريقه خسر فى آخر ثانية أو انهزم بنصف دستة أهداف.. والفرق شاسع والبون واسع مع من مات وهو يصلى ومن ماتت وهى ساجدة، ومن ماتوا وهم يتلون كتاب الله..

والفرصة بين أيديكم فلا تضيعوها وتذكروا قول الله تعالى لمن يخلف وعده ومن يدعى أنه سيصلح حاله؛ ولكن نيته سبقته بالمعصية والعصيان ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[الأنعام: ٢٨].

* * *



المحطة الثالثة: علامات الإخلاص

العلامة الأولى: اتهام النفس:

عن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ يخاف على نفسه النفاق[(١)].

قال مطرف بن عبد الله يوم عرفة: «اللهم لا تردهم من أجلي».

العلامة الثانية: إخفاء العمل:

قال أبو حازم: «اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك».

وتذكر الشجرة التي لا بد أن يكون جذرها في الأرض تشرب وترتوي وتتغذى حتى تثمر والعكس لا يحدث، وهكذا كلما أخفيت العمل زادت نسبة الصدق ومعدلات الإخلاص فيه بل ولك منه المخرج، وتعالوا بنا نسمع لقصة أصحاب الغار..

قال ﷺ: «خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمْ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَّ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا

---

(١) رواه البخاري.

فُرْجَةً قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطِنِي حَقِّي فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ»[1].

العلامة الثالثة: لا يحب الشهرة:

قال بشر بن الحارث: «لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس».

قال سهل بن سعد الساعدي: «مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟»».

فقال: رجلٌ من أشراف الناس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفّع، فسكت رسول الله ﷺ ثم مرّ رجل فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟»، فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفّع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»[2].

العلامة الرابعة: لا يغيره المنع والعطاء:

قال ﷺ: «تعس عبد الدينار وعبد الخميصة إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط تعس وانتكس». البخاري.

العلامة الخامسة: لا ينتظر الشكر من أحد:

الآية الأولى: لوجه الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا ۞ إنا نَخَافُ مِن

---

(١) أخرجه البخارى عن ابن عمر فى ٣٤ كتاب البيوع ٩٨ - باب إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه، فرضى.

(٢) صحيح: رواه البخارى ومسلم، وانظر نزهة المتقين فى شرح رياض الصالحين ك٢٥٥.

رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩- ١٢].

وفى التفسير: « قال مجاهد وسعيد بن جبير: إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم، فأثنى عليهم. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته، نسب العبوس إلى اليوم، كما يقال: يوم صائم وليل قائم. وقيل: وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة (قمطريرا) قال قتادة، ومجاهد، ومقاتل: «القمطرير» : الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس. قال الكلبي: العبوس الذي لا انبساط فيه، و«القمطرير الشديد». قال الأخفش: «القمطرير» أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء. يقال: يوم قمطرير وقماطر إذا كان شديدًا كريهًا، واقمطر اليوم فهو مقمطر. (فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ) الذي يخافون (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً) حسنا في وجوههم، (وَسُرُورًا) في قلوبهم. (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا) على طاعة الله واجتناب معصيته. وقال الضحاك: على الفقر. وقال عطاء: على الجوع. (جَنَّةً وَحَرِيرًا) قال الحسن: أدخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير »..

الآية الثانية: يريدون وجهه:

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

«يأمر تعالى نبيه محمدًا ﷺ وغيره أسوته في الأوامر والنواهي أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين.

﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ .

أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم، وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي لا تجاوزهم بصرك وترفع عنهم نظرك.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ :

فإن هذا ضار غير نافع وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا فتصير الأفكار والهواجس فيها وتزول من القلب الرغبة في الآخرة فإن زينة الدنيا تروق للناظر وتسحر القلب، فيغفل القلب عن ذكر الله ويقبل على اللذات والشهوات فيضيع وقته وينفرط أمره فيخسر الخسارة الأبدية والندامة السرمدية، ولهذا قال:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ :

غفل عن الله فعاقبه بأن أغفله عن ذكره..

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ :

أي صار تبعًا لهواه حيث ما اشتهت نفسه فعله وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه فهو قد اتخذ إلهه هواه كما:

﴿وَكَانَ أَمْرُهُ﴾ : أي مصالح دينه ودنياه..

﴿فُرُطًا﴾ :

أي ضائعة معطلة فهذا قد نهى الله عن طاعته؛ لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به ودلت الآية على أن الذي ينبغي أن يطاع ويكون إمامًا للناس من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه فلهج بذكر الله واتبع مراضي ربه فقدمها على هواه فحفظ بذلك ما حفظ من وقته.

وصلحت أحواله واستقامت أفعاله ودعا الناس إلى ما منَّ الله به عليه، فحقيق بذلك أن يتبع ويجعل إمامًا والصبر المذكور في هذه الآية هو الصبر على طاعة الله الذي هو أعلى أنواع الصبر وبتمامه يتم باقي الأقسام»[1].

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

** عقاب قاتل:

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بصحف مختمة، فتنصب بين يدي الله تعالى، فيقول تبارك وتعالى: ألقوا هذه، واقبلوا هذه، فتقول الملائكة: وعزتك وجلالك ما رأينا إلا خيرًا، فيقول الله عز وجل، إن هذا كان لغير وجهي، وإني لا أقبل إلا ما ابتغى به وجهي»(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: سمعت نبيكم يقول: «من جعل الهموم همًّا واحدًا، هم آخرته، كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك»(٢).

لأن:

العمل المشترك لا يقبله والقليل المشترك لا يقبل عليه.

لا ينفع أن يزاحم غير الله فى قلبك مع العلم أن الدنيا وأدواتها عادى جدًّا.

مسجد الضرار هل تعرفه ؟ ! !

قصة مسجد الضرار وردت في القرآن الكريم، في سورة التوبة، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

قال رحمه الله:

«سبب نزول هذه الآيات الكريهات: أنه كان بالمدينة قبل مَقدَم رسول الله ﷺ إليها

---

(١) رواه البزار والطبراني بإسنادين، رواة أحدهما رواة الصحيح، والبيهقي.

(٢) رواه ابن ماجه وهو صحيح.

رجل من الخزرج يقال له: «أبو عامر الراهبُ»، وكان قد تَنَصَّر في الجاهلية وقرأ علْم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قَدم رسولُ الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة، وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش، فألَّبهم على حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب، وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين.

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأصيب ذلك اليوم، فجرح في وجهه، وكُسِرت ربَاعِيتُه اليمنى السفلى، وشُجَّ رأسه، صلوات الله وسلامه عليه. وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبُّوه. فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شَر.

وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرَّد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيدًا طريدًا، فنالته هذه الدعوة.

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمرَ الرسول صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويُمنِّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه، ويكونَ مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته -عليه السلام- فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: (أنا على سفر، ولكن

إذا رجعنا إن شاء الله)، فلما قفل -عليه السلام- راجعًا إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضِّرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هَدَمه قبل مقدمه المدينة.

كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم أناس من الأنصار، ابتنوا مسجدًا، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدًا واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني

ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم وأخرج محمدًا وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة. فأنزل الله عز وجل: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ إلى ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

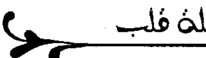
«وكان مسجد الضرار قد بني لأبي عامر الفاسق الذي كان يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان المشركون يعظمونه، فلما جاء الإسلام حصل له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي ﷺ، وفراره إلى الكافرين، فقام طائفة من المنافقين يبنون هذا المسجد، وقصدوا أن يبنوه لأبي عامر هذا، والقصة مشهورة في ذلك، فلم يبنوه لأجل فعل ما أمر الله به ورسوله، بل لغير ذلك»(٢).

ويقول الشيخ ابن عثيمين:

«مسجد الضرار بني على نية فاسدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ والمتخذون هم المنافقون، وغرضهم من ذلك:

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢١٠، ٢١٤).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٣١).



١- مضارة مسجد قباء: ولهذا يسمى مسجد الضرار.

٢- الكفر بالله: لأنه يقرر فيه الكفر - والعياذ بالله -؛ لأن الذين اتخذوه هم المنافقون.

٣- التفريق بين المؤمنين: فبدلاً من أن يصلي في مسجد قباء صف أو صفان يصلي فيه نصف صف، والباقون في المسجد الآخر، والشرع له نظر في اجتماع المؤمنين.

٤- الإرصاد لمن حارب الله ورسوله يقال: إن رجلاً ذهب إلى الشام، وهو أبو عامر الفاسق، وكان بينه وبين المنافقين الذين اتخذوا المسجد مراسلات، فاتخذوا هذا المسجد بتوجيهات منه، فيجتمعون فيه لتقرير ما يريدونه من المكر والخديعة للرسول ﷺ وأصحابه، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾، فهذه سنة المنافقين: الأيمان الكاذبة[1].

الأخسرون أعمالا:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

لأن الواحد منا قد يعجبه فعله أو يفرح برأيه أو يشعر أنه كما يقولون (ملاك)، ويظن أنه على الطريق السديد وأنه على الحق ماضٍ.. ولكن الآية تلفت الانتباه وتستدعى التفكير.. أن تركز فى حياتك وفى علاقتك بالله قبل أن يكون ظنك وراءه مصيبة، والنتيجة أن تخسر أعمالك وكل حياتك، كمن يقول أنا أشرب سجائر فأنا أحسن من مدمن المخدرات.. وهذه تقول: أنا أرتدى حجابًا مع بنطلون أحسن من غيرى لا ترتدى الحجاب.. وكل هذه ظنون نخاف أن يكون سعينا من ورائها هو الخسران.. والسبب انسياقنا وراء أهوائنا، أو نتيجة تضليل أصحابنا.. أو وسوسة شيطان.. والعجيب أن نحسب أننا نحسن صنعًا.

(١) «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (٩/ ٢٢٦، ٢٢٧)

صورة واحدة ومقاصد شتى!!

يقول ابن القيم: «الشيء الواحد تكون صورته واحدة، وهو ينقسم إلى محمود ومذموم، فمن ذلك: التوكل والعجز، والرجاء والتمني، والحب لله والحب في الله، والنصح والتأنيب (التشهير)، والهدية والرشوة، والإخبار بالحال والشكوى، فإن الأول من كل ما ذكر محمود، وقرينه مذموم، والصورة واحدة، ولا فارق بينهما إلا القصد..

النية الصالحة تحول العادات والمباحات إلى طاعة ويؤجر عليها الإنسان: والمؤمن يؤجر في كل عمل يبتغي به وجه الله، حتى في اللقمة يرفعها إلى فم امرأته. وقد قال ﷺ لسيدنا سعد بن أبى وقاص: «إنك ما تنفق نفقة تبغي بها وجه الله تعالى إلا أُثبت عليها، حتى اللقمة تضعها فى فِيّ (أي فم) امرأتك».

❊ ❊ ❊

وقبل السلام

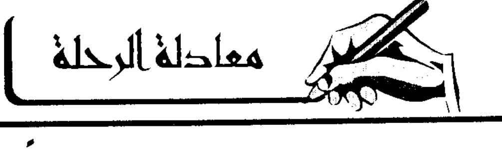
لك ما تريد:

*جاء فى الخبر أنه «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعطى كتابه بيمينه فيرى فيه الحج والعمرة والجهاد والزكاة والصدقة فيقول العبد فى نفسه: ما عملت من هذا شيئًا وليس هذا كتابى.. فيقول الله تعالى: فإنه كتابك عشت دهرًا وأنت تقول لو كان لى مال لحججت.. ولو كان لى مال لجاهدت وعرفت من نيتك أنك صادق فأعطيتك ثواب كل ذلك».

أى: رب حسنات تأتيك يوم القيامة كجبل أحد لم يعرق لك فيها جبين ولم يتحرك لك فيها قدم، وأنت تسأل من أين؟!



* اطلب النية قبل كل عمل وجددها وسطه واطمأن عليها آخره.
* اصنع كراسة للنيات واكتب فيها نية كل عمل وزد فى نياتك وراجعها وجددها.
* الصحبة الصالحة.
* كثرة الدعاء بالاخلاص.
* تعداد النية وعمل stop خلال العمل.



نية + إخلاص = قبولاً





الرحلة التاسعة

شهادة ميلاد

ضربة البداية

يا شباب:

كل الناس تولد ولا يشك أحد عاقل في هذا.. ولكن الكل اشترك في ولادة واحدة وهي الميلاد من رحم الأم..

ولكن هناك أناس يولدون أكثر من ميلاد والميلاد الثاني هو ميلاد الإيمان في القلب..

وهذه هي الولادة الحقيقية التي تهب للإنسان الحياة الزكية، والسعادة الدائمة وراحة البال وسكينة الروح..

والإيمان هو الذي يزكي القلب وينقيه، بالإقرار بأن الله هو خالق الخلق وله وحده الأمر والنهى والسيادة..

فيسلم العبد لله ولقدرته التي ليس فوقها قوة..

ويتأكد العبد أنه عبد لله وحده..



المحطة الأولى: الإيمان ومفهومه

تعريف:

أن تنظر إلى أقل ذرة في هذا الكون العظيم الهائل تتجه إلى الله سبحانه تسبح له وتخضع له.. وكذلك أنت أن تكون كل ذرة في جسدك تؤمن بالله وتوحده وتخلص في عبادته وطاعته.. وتعلم أنه لا خالق ولا رازق إلا الله، ولا معبود بحق إلا الله وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾..

فسبب الهداية والسعادة والراحة والسكينة والطمأنينة والبركة هي الإيمان بالله وحده.. وكي أكون معك في دائرة اهتمامك وفي زاوية انشغالك لن أكون مبالغًا إذا أخبرتك أن الإيمان أغلى كنز وأثمن ثروة ولعلك تحفظ حديث الإيمان المشهور «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»[1]. ونمر مرورًا عابرًا على كل معنى كي ندخل في القواعد التي يبني عليها الإيمان..

القواعد التي يبنى عليها الإيمان..

الإيمان بالله: تراقبه في كل أفعالك وتخلص في عبادته وتصدق في توحيده.

الإيمان بملائكته: ما يلفظ من قول إلا وهو مكتوب عليك ومحفوظ عليك.

الإيمان بكتبه: تعتز بكلام الله وتفهم آياته وتدبر معانيه وتعمل بما قرأته.

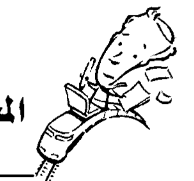
الإيمان برسله: أن تتبعهم وتقتدى بهم وتتمسك بسنة رسولك الكريم.

الإيمان باليوم الآخر: الاستعداد له والتأكد أنه يوم آتٍ لا محالة فقدم لنفسك خيرًا.

الإيمان بالقدر خيره وشره: طمأنة النفس وليس الخوف على الرزق ولا العمر والحياة وكل شيء بيد الله وحده.

---

(١) رواه مسلم.



المحطة الثانية: قواعد الإيمان

القاعدة الأولى: الدافع الأساس هو الحب:

الدوافع التي يتحرك المرء من خلالها هي الحب.. مثل الأم التي تتعب ولا تنام ولا يهدأ لها جفن ولا يرتاح لها قلب إلا وولدها بين يديها.. ما حركها ذلك إلا الحب.. الحب الحقيقي الذي يدفع الإنسان لعمل الشيء والتفاني فيه والصدق معه.. كذلك الإيمان حين ينبع من القلب وتكون قاعدته حب الله عز وجل، ولا عجب أن المولى سبحانه هو الذي أرسى لنا هذه القاعدة فقال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات: ٧].

حقًا إنه الحب الذي يسوق المرء لحب الله وحب رسول الله ﷺ وصدق الرسول الكريم ﷺ حين قال: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»(١). أن تكون حياتك مرسومة وفق ما يحبه الله ورسوله ﷺ.

واعلم أن كنز الإيمان غالٍ ونفيس ولا يقدر بمال أو بسلطان أو منصب أو جاه؛ لأنه كنز ينزله الله في قلوب عبادة ليتعرفوا عليه ويستمتعوا به، وصدق الله حين قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾[البقرة: ١٦٥].

ذلك لأن قوة حبك لله ينبع من قوة الإيمان به عز وجل.. والاستسلام له.. وفرق كبير من يدفعه الحب إلى الإيمان وطاعة ربه عز وجل وإتقان عمله، وحسن معاملة الناس ومراقبة الله وصدق التوكل عليه وحسن الظن به.. وآخر يدفعه الحب إلى المعصية وارتكاب الفاحشة والغضب والضيق وسوء معاملة الأب والأم وعدم إتقان العبادة ومصاحبة الأصدقاء الذين لم يجلبوا إلا الحزن والعار والذلة.. وربما أدى الحال إلى أخذ

---

(١) صحيح. رواه أبو داود والألباني.

المال ولو حرامًا.. وظلم العباد.. وحب الشهرة على حساب الدين... وتأديه الخدمة للناس ولكن لكي يقول الناس إنه كذا وكذا..

القاعدة الثانية : فعل الجوارح مرآة لحجم الإيمان في القلب :

قال تعالى:﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

لأن فعل الجوارح وتصرفاتها ونظرات العيون وخطوات الأقدام كلها تنبع من الإيمان في القلب، وهذا جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبيﷺ ونحن فتيان حزاير (شباب عندنا نشاط وقوة) فتعلمنا الإيمان قبل القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا..

ذلك لأن الإيمان ينمو ويترعرع لحب القرآن وتلاوته وتدبره وفهمه.. ومن هنا كان لا بد من ترتيب أولويات القلب في قوة الإيمان التي تدفع المرء لخوض الحياة والقدرة على مواجهة الفتن والشهوات والتصدي للشبهات بثقة وقوة وعزم..

وقالﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».. وقالﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»..

الصيام والقيام تم بناء ثوابهم بهما.. فالقصة والقضية هنا هل سيزداد المسلم إيمانًا بصيامه وقيامه وليست العبرة بأنه سيجوع أو يعطش أو ينتابه التعب من سهره وقيامه.. وهذا موقف رائع لرجل من الأنصار حين زاره ضيف له وكان الأكل قليلاً.. جاء رجل جائع إلى الرسولﷺ وهو في المسجد،وطلب منه طعامًا، فأرسلﷺ ليبحث عن طعام في بيته، فلم يجد إلا الماء، فقال رسول اللهﷺ: «من يُضيِّف هذا الليلة رحمه الله؟» .

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله..

وأخذ الضيفَ إلى بيته، ثم قال لامرأته: هل عندك شيء؟

فقالت: لا، إلا قوت صبياني، فلم يكن عندها إلا طعام قليل يكفي أولادها الصغار، فأمرها أن تشغل أولادها عن الطعام وتنومهم، وعندما يدخل الضيف تطفئ السراج (المصباح)، وتقدم كل ما عندها من طعام للضيف، ووضع الأنصاري الطعام للضيف،

وجلس معه في الظلام حتى يشعره أنه يأكل معه، وأكل الضيف حتى شبع، وبات الرجل وزوجته وأولادهما جائعين.

وفي الصباح، ذهب الرجلُ وضيفه إلى النبي ﷺ، فقال للرجل: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»(١).

ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

والخصاصة: شدة الحاجة.

القاعدة الثالثة: الاتباع الحقيقي للنبي ﷺ:

ولما غنم الرسول ﷺ أموال بني النضير، دعا ثابت بن قيس فقال: «ادعُ لي قومك» قال ثابت: «الخزرج؟»، فقال ﷺ: «الأنصار كلها» فدعا له الأوس والخزرج، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم في منازلهم وأموالهم، وأثرتهم على أنفسهم ثم قال: «إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم».

فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: «يا رسول الله، بل نقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا»، وقالت الأنصار: «رضينا وسلمنا يا رسول الله».

القاعدة الرابعة: الدنيا تحتاج إلى صحبة إيمانية:

قال الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ﴾ ...

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

(١) مسلم.

كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ١ – ٤].

فالسورة اسمها «الأنفال» أي الغنائم.. ولكنها تتحدث عن قيمة الإيمان وأنه لا يهم الإنسان أن يكون لديه مال وفير وجاه كثير وسلطان واسع ونفوذ عظيم، ولكن ليس لديه رصيد من الإيمان.. فماذا وجد هذا.. وماذا فقد من تمكن الإيمان من قلبه؟!

وغزوة حنين:

ترسم الصورة وتوضحها حين وزع الرسول ﷺ على رءوس القبائل والمؤلفة قلوبهم (الحديث عهد بالإسلام).. ولم يعطِ الأنصار شيئًا.. (بل الله ورسوله أمن وأفضل).

لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء .. وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت.. قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء..

قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟».

قال: يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي وما أنا من ذلك.

قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة» .

قال: فجاء رجل من المهاجرين فتركهم وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار.

قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: «يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم؟ ووجدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم؟».

قالوا: بل الله ورسوله أمن وأفضل.

قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ ».

قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل؟

قال: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبًا فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريدًا فآويناك وعائلاً فواسيناك. أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا؟ تألفت قومًا ليسلموا؟ ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده إنه لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسمًا وحظًا. ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا[1].

القاعدة الخامسة: مؤيد من الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

فالإيمان هو حل لكل المشكلات.. وهو الورع الواقي.. والحافظ الحامي.. ممن يدبر له المكائد أو يحقد ويحسد أو من يشكو ضيق ذات اليد وكثرة المطالب.. أقول لك أفهم موقف خالد بن الوليد حين حدث بلدة قنسرين التى حاصرها وكانت حصونها منيعة، فيقول لذلك القائد الرومي قائد بلدة قنسرين:

«من خالد بن الوليد إلى قائد الروم في بلدة قنسرين، أما بعد: فأين تذهبون منا؟ والله لو صعدتم إلى السماء لأصعدنا الله إليكم، أو لأمطركم علينا».

فما كان من ذلك الرجل إلا أن رعب وفزع.. وألقى الله الرعب في قلبه..

فقال: «اخرجوا، وافتحوا أبواب المدينة لا طاقة لنا بهؤلاء».

---

(١) فقه السيرة ٣٩٦ إسناده صحيح.

سحرة فرعون: وهؤلاء هم سحرة فرعون الذين يقولون: ﴿أَإِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾..

نظرة دنيوية بحتة ولكن حين دخل الإيمان القلب وصارت النظرة مختلفة والوجهة سليمة والرؤية صحيحة قالوا: ﴿إنا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣].. في لحظة واحدة انقلبت الآية وتبدل الحال.. والختام الرائع للآية: ﴿وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾..

وأنت كذلك لا تقل: لا فائدة في قلبي..والأمر صعب وأنا أعرف نفسي من معاصٍ وذنوب ولكن شن على قلبك غارات الدعاء والذكر والاستغفار الكثير.. وإن شاء الله سيغير الله حالك وستكون شابًّا فعالًا لدينه ولأمته ولبلده.. والمجتمع بلا إيمان قوى مجتمع تعيس يعيش في مشاكل ومنغصات والدليل على تحول حال القلب وزيادة معدل الإيمان، هل تشعر بتأثير حين نسمع الأذان للصلاة.. أم يمر مرور الكرام؟؟

* * *

المحطة الثالثة: غيِّر حياتك

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

نزلت هذه الآية الكريمة في صهيب الرومي حينما تخلى للمشركين في مكة عن كل ما يملك مقابل أن يخلون سبيله ليلحق بالرسول ﷺ في المدينة المنورة، احتجزوه ومنعوه من الهجرة وقال قائلهم: يا صهيب جئتنا صعلوكًا لا تملك شيئًا، وأنت اليوم ذو مال كثير! – يساومونه –فقال لهم: أرأيتم إن دللتكم على مالي هل تخلون سبيلي؟

قالوا: نعم..

فدلهم على ماله بمكة ثم انطلق مهاجرًا في سبيل الله لا يلوي على شيء، تاركًا كل ما يملك خلف ظهره وهاجر إلى الله ورسوله، فلما وصل المدينة دخل على رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «ربح البيع أبا يحيى ربح البيع »..

فماذا قدمت أنا؟ وماذا قدمت أنت أخي الحبيب طلبًا لمرضاة الله؟ ماذا قدمنا من أموالنا في سبيل الله؟ ماذا قدمنا من أوقاتنا في سبيل الله؟ هل تنازلنا عن شيء ولو يسيرًا من شهواتنا وملذاتنا من أجل الله؟ بل كم قد تنازلنا عن إيماننا من أجل دنيانا؟ أنرقع دنيأنا بتمزيق ديننا؟! كيف لو خيرنا بين أموالنا وبين ديننا؟ أو بين أهلينا وبين إيماننا؟

• الخنساء وصخر.. حين بكت الخنساء على أخيها صخرًا ولم تأخذ قسطًا من الراحة بل الحال هو البكاء المستمر والعويل المخلص والنحيب الشديد حتى قالت:

ولولا كثرة الباكين حوالي   على إخوانهم لقتلت نفسي

كادت تقتل نفسها لموت أخيها صخر.. ولكن سبحان الله بمجرد تمكن الإيمان من شغاف قلبها تبدل الحال وتغير الأمر واتجهت مؤشرات الإيمان لأعلى المعدلات.. حتى

اجتمعت بأولادها الأربعة قبل معركة القادسية مع سعد بن أبي وقاص وتنادي فيهم: «إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين.. واعلموا أن الدار العاقبة خير من الدار الفانية.. فقتلوا جميعًا في سبيل الله.. وحين أخبروها بالخبر.. قالت: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته»..

وصدق الله ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

انظر لهذا الشاب الذي يظن أنه بشهواته أو بإدمان المخدرات أو بمتابعة الإباحيات سعيد مسرور.. كلا والله إنه في هم لا ينفك وغم لا ينقضي ويأس لا يبلغ منتهاه.. ولهذا كانت المواعظ التي تطرق القلب لتوقظه.. هي بمثابة إفاقة للإغماء الذي حل على الإيمان بالقلب حتى قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ﴾ .

الجواذب الأرضية من مال وطمع ودنيا.. وهكذا تجر الإنسان للمعصية والثقل والكسل.. أما من سعى لله وأخلص وأتعب نفسه في مرضاته تغير الأمر وتبدل الحال..

وهذا هو عمران بن حصين ، قال مُطرِّف بن عبدالله الشخير: أتيت عمران بن حصين يومًا، فقلت له: إني لأدع إتيانك لما أراك فيه، ولما أراك تلقى. قال: فلا تفعل، فو الله إن أحبه إليّ أحبه إلى الله.وكان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة، لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته.فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء، فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال: لم تبكي؟

قال: لأني أراك على هذه الحالة العظيمة.

قال: لا تبك فإن أحبه إلى الله تعالى، أحبه إلي. ثم قال: أحدثك حديثًا لعل الله أن ينفع به، واكتم على حتى أموت، إن الملائكة تزورني فآنس بها، وتسلم على فأسمع تسليمها، فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة، إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة، فمن يشاهد هذا في بلائه، كيف لا يكون راضيًا به[1]؟!

(١) إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٤٩.

قاعدة مهمة: الانتصار على كبر النفس:

ذات يوم أتى سهيل بن عمرو وأبو سفيان إلي مجلس أمير المؤمنين عمرالذي لا يدخله إلا المؤمنون حقًا، وهما سيدان من سادات قريش، فلا يؤذن لهما.. ويأتي بلال الحبشي الذي أكرمه الله بالإسلام فيؤذن له، ويأتي صهيب الرومي فيؤذن له، ويأتي سلمان الفارسي فيؤذن له كذلك، فماذا كانت النتيجة؟ كان من أبي سفيان أن تأثر وتذمَّر وتنمَّر، وقال: والله ما ظننت أن أُحْبس على باب عمر، ويدخل هؤلاء الموالي قبلي،فقال سهيل - وكان لبيبًا عاقلا-: والله ما علينا أن نحبس على باب عمر، ولكن -والله- أخشى أن نُحْبسَ على أبواب الجنة، ويدخل هؤلاء، لقد دعوا إلى الإسلام فأسرعوا، ودعينا فأبطأنا وتأخرنا، فما علينا أن نحبس على باب عمر،إنما علينا أن لا نحبس على أبواب الجنة. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

قال الله عز وجل: «وعزتي وجلالي ما من عبد آثر هواي على هواه (قدم مراد الله وطاعته على هم نفسه وطلبها) إلا أقللت له همومه وجمعت له ضيعته ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واستجرت له من وراء كل فاجر »..

نعم إنه الإيمان.. أما حين يموت الإيمان في القلب.. فاسمع أنسًا يقول:«إنكم لتعملون أعمالًا هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها من الموبقات (الكبائر)»..

بعث النار:

قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك؛ قال يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين؛ قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد ؛ قال: فاشتد عليهم.

قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟

فقال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجل؛ قال ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده

إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة».

خبيب بن عدى:

الصحابي الجليل وأحد الأنصار الصادقين، من قبيلة الأوس، لازم النبي (منذ أن هاجر إليهم، وكان عَذْبَ الروح، قوي الإيمان.. شارك في غزوة بدر وقتل عددًا كبيرًا من المشركين من بينهم الحارث بن عامر بن نوفل.. وذات يوم أراد النبي (أن يعرف نوايا قريش، ومدى استعدادها لغزو جديد، فاختار عشرة من أصحابه من بينهم خُبيب بن عدي، وجعله عاصم بن ثابت أميرًا عليهم، وانطلق الركب ناحية مكة حتى اقتربوا منها، فوصله خبرهم إلى قوم من بني لحيان فأخذوا يتتبعونهم، وأحسَّ عاصم أنهم يطاردونهم، فدعا أصحابه إلى صعود قمة عالية على رأس جبل، فاقترب منهم مائة رجل من المشركين وحاصروهم، ودعوهم إلى تسليم أنفسهم بعد أن أعطوهم الأمان، فنظر الصحابة إلى أميرهم عاصم فإذا هو يقول: أما أنا فوالله لا أنزل في ذمة مشرك، اللهم أخبر عنا نبيك.فلما رأى المشركون أن المسلمين لا يريدون الاستسلام؛ رموهم بالنبال، فاستشهد عاصم ومعه ستة آخرون، ولم يبق إلا خبيب واثنان معه، هما: زيد بن الدثنة ومرثد بن أبي مرثد، ولما رأى مرثد بداية الغدر حاول الهرب فقتله البغاة، ثم ربطوا خبيبًا وزيدًا وساروا بهما إلى مكة؛ حيث باعوهما هناك وعندما سمع بنو حارث بوجود خبيب أسرعوا بشرائه ليأخذوا بثأر أبيهم الذي قتله خبيب يوم بدر، وظل خبيب في بيت عقبة بن الحارث أسيرًا مقيدًا بالحديد، وذات يوم دخلت عليه إحدى بنات الحارث فوجدت عنده شيئًا عجيبًا، فخرجت وهي تناديهم وتقول: والله لقد رأيته يحمل قطفًا (عنقودًا) كبيرًا من عنب يأكل منه، وإنه لموثق (مقيد) في الحديد، وما بمكة كلها ثمرة عنب واحدة، ما أظنه إلا رزقًا رزقه الله خبيبًا، ولما أجمع المشركون على قتل خبيب استعار موسيًا من إحدى بنات الحارث ليستحد بها (يزيل شعر العانة) فأعارته، وكان لهذه المرأة صبي صغير، غفلت عنه قليلا، فذهب الصبي إلى خبيب فوضعه على فخذه، وفي يده الموسى، فلما رأته المرأة فزعت وخافت على صبيها، فقال لها خبيب: أَتَخْشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ ما كنت لأفعل إن شاء الله، فقالت

المرأة: ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، وأراد المشركون أن يدخلوا الرعب في قلب خبيب، فحملوا إليه نبأ مقتل زيد بن الدثِنَّة، وراحوا يساومونه على إيمانه، ويعدونه بالنجاة إن هو ترك دين محمد، وعاد إلى آلهتهم، ولكن خبيبًا ظل متمسكًا بدينه إلى آخر لحظة في حياته، فلما يئسوا منه أخرجوه إلى مكان يسمى التنعيم، وأرادوا صلبه (تعليقه)، فاستأذن منهم أن يصلي ركعتين، فأذنوا له، فصلى خبيب ركعتين في خشوع، فكان بذلك أول من سنَّ صلاة ركعتين عند القتل وبعد أن فرغ من صلاته نظر إليهم قائلًا:

والله لولا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ بي جزعًا (خوفًا) من الموت؛ لازددت صلاة. ثم رفع يده إلى السماء ودعا عليهم: «اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا».

ثم أنشد يقول:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أي جَنْبٍ كَانَ في الله مَصْرَعِي
وَذَلِكَ في ذَاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمَزَّعِ

ثـــم..

قاموا إلى صلبه، وقبل أن تقترب منه سيوفهم، قام إليه أحد زعماء قريش..

وقال له: أتحب أن محمدًا مكانك، وأنت سليم معافى في أهلك، فيصيح خبيب فيهم قائلًا: والله ما أحب أني في أهلي وولدي، معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله بشوكة، إنها الكلمات التي قالها زيد بن الدثنة بالأمس يقولها خبيب اليوم، مما جعل أبا سفيان (ولم يكن قد أسلم) يضرب كفًّا بكف ويقول: والله ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كما يحب أصحاب محمدٍ محمدًا. وما كاد خبيب ينتهي من كلماته هذه حتى تقدم إليه أحد المشركين، وضربه بسيفه، فسقط شهيدًا، وكانوا كلما جعلوا وجهه إلى غير القبلة يجدونه مستقبلها، فلما عجزوا تركوه وعادوا إلى مكة، وبقى جثمان الشهيد على الخشب الذي صلب عليه حتى علم النبي بأمره، فأرسل الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو فأنزلاه، ثم حمله الزبير على فرسه، وهو رطب لم يتغير منه شيء، وسار به، فلما لحقهم المشركون قذفه الزبير، فابتلعته الأرض، فَسُمِّيَ بَلِيع الأرض..



واتبعتهم ذريتهم بإيمان:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ .. بل ويؤكد ابن عباس النظرية حيث قال: حكى النبى ﷺ «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده.. فيقال: إنهم لن يبلغوا درجتك أو عملك فيقول: يا رب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم ثم تلا ابن عباس: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ .. وبالله عليكم لا تنسونا ولو بصالح الدعاء؟!

قال تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

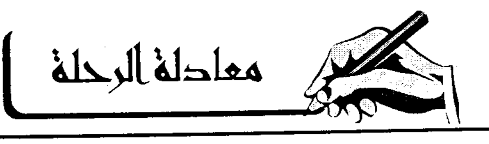


١ - قراءة القرآن (ولو عشر دقائق يوميًا).

٢- الصلاة في المسجد وصلاة النوافل.

٣- المحافظة على صلاة الفجر في المسجد.

٤ - املأ شهادة الميلاد الجديدة (فى نهاية الرحلة).



ذكر الله+ النوافل+ قراءة القرآن= إيمانًا صادقًا.

شهادة ميلاد

إنه فى يوم:

ولد إنسان جديد. بقلب جديد.. ولسان جديد.. يحب ربه ويطيعه.. ويحب نبيه ﷺ ويتبعه.. ويحب دينه ويعتز به ويعمل لنصرته..

ويعلم أنه..

يموت كل صغير وكبير.. ويموت كل عزيز وحقير.. ويموت كل سليم وسقيم..

لذا فقد أخذ العهد على نفسه..

أن يستثمر عمره فى الطاعة والعبادة .. وفى الفرح والسعادة.. وينال إن شاء الله الرضوان والجنة..

وأن يكون عبدًا يرى أن أيامه كلها رحلات.. والحياة ما هى إلا رحلة قلب كبيرة.. فإذا انتهت الرحلة توقف القلب يعنى انتهت الحياة.. والفرصة متاحة فاجتهد وافتح صفحة جديدة.. واحجز مقعدك من الآن..

قال محمد بن الحنفية: «إنه ليس لأبدانكم أثمان إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها».

اسم المولود :.................

المكان:..................

الزمان:..................

صالة الوصول

الحمد لله على سلامتك..

بعد أن تجولنا فى رحاب رحلة قلب.. واستقى القلب العبر من رحلاته.. وفهم حقيقة أيامه.. وتدبر معانى إيمانه.. نريد ألا يعود كما كان.. وفى بيان الحالة ننتظر النتيجة أنه شفى من علته وبرأ من مرضه...

يا من يذنب ولا يتوب.. كم كتبت عليك الذنوب.. يا صاحبى خلِّ الأمل فإنه كذوب..

واأسفاه أين أرباب القلوب؟!

هل تفرقت بهم الدنيا وأضاعتهم صحبتهم خلف الحدود؟!

قد آن أوان..

الابتعاد عن المعاصى والذنوب.. والهروب بقوة إلى أرض الطاعة والفلاح..

إن رحلتنا بمثابة رحلة بعث جديدة قد أخذت تباشيرها تلوح فى الأفق.. وننتظر منكم أصحابى أن تحملوا شعلة إيمان تنير وسط عتمة الشهوات وظلمة المغريات..

وحتمًا موكب الإيمان بالشباب الطائع الصالح سيضىء من بين هذه الدياجى..

فيا حاضرين عندنا بنية التنزه لستم معنا..

عودوا إلى أوكار الكسل وغياهب الشهوة تجدوها خاوية.. لماذا؟!

لأن شبابنا عقل ما خلق له؛ وفهم لماذا رزقه الله قلبًا؟!.. وما الدنيا فى عيونهم إلا جناح بعوضة وما ساوته...

وهذا هو سر عدم نظر الله إلى الدنيا:

لأن من صفاتها الفناء والانتهاء.. فصفاتها عكس صفات الرب.. حقودة تجعلك تفكر فيما ليس عندك.. لو تعلق بها قلبك لا يتعلق بالله.. الأخذ منها ضرر... لو كانت

نعم الدنيا عند الله بمكان ما جعلها في أيدى أعدائه.. ولا زواها عن أنبيائه وأوليائه.. تضع على القلب غشاوة فيعصى العبد ربه..

فيا صاحبي:

كن قويًا بربك.. لا تخف من غيره.. كن قوى القلب.. زكى القلب.. مخلص القلب.. واسمع إلى ربك:

« يا ابن ادم لا تخف من ذي سلطان ما دام سلطاني وملكي لا يزول، لا تخف من فوات الرزق ما دامت خزائني مملوءة لا تنفد؛ خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فسر في طاعتي يطعك كل شيء، لي عليك فريضة ولك على رزق، فإن لم تخالفني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وإن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وإن لم ترضَ بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا، تركض فيها كركض الوحوش في البرية، ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندي مذمومًا»[(١)].

دعونا نسدل الستار ونختم الرحلة..

حتمًا ستكون الدنيا..... سبيلنا إلى طاعة ربنا

حتمًا ستكون الدنيا..... طريقنا لنفرح نبينا

حتمًا ستكون الدنيا..... خطوتنا لنرفع رأس أمتنا..

الحمد لله.. أن هدانا...

الحمد لله.. أن بصرنا..

الحمد لله.. أن اختارنا..

تعاهد قلبك، فإذا رأيته بعد رحلتنا مال إلى الضياع والمعصية..

فاجعل الجانب الآخر ذكر العقاب ليستقيم ويفيق..

---

(١) في إسناده مقال.

وفى الختام: هل تحب أن تكون معهم ؟ !

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة؛ يقول الله: تريدون شيئًا أزيدكم منه؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؛ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار.. فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»(١).

اللهم احشرنا معهم.. واجعلنا منهم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

الملتمس رضاء ربه

شريف شحاتة

www.sherifshehata.net

---

(١) صحيح الجامع.

تذكـرة العــودة

- الاسم: قلب رباني سعيد.
- العنوان: عبد الله في ملكه.
- نقاط الوصول: الفردوس الأعلى في الجنة.
- نتائج الرحلة:
  - قلب مخلص.
  - قلب رباني.
  - قلب تقي.
  - قلب سليم.
  - قلب حسن الظن بالله.
  - قلب تائب.
  - قلب طائع.
  - قلب سعيد.
- اسم المكتب: رحلة قلب.
- الاستعلامات: **www.sherifshehata.net**

اقـــرأ للمـــؤلف

١- كتاب (شد الرحال إلى الله) – دار ابن الجوزى (إبداع):

يناشدك: لا تقف مكانك.. هل وقفت الشمس مكانها؟! هل ثبت القمر فى موضعه؟! هل سكنت الريح؟!.. فيأتى دوره ليكشف لك معالم الطريق حتى تعلن فى نفسك ميلاد جديد.. ويتوجه بكل حب ووداد إلى الشباب سن الهمم الوثابة واليقظة العالية وهو دليلك إلى رحلة النجاة وهجرة الإنقاذ..هذه يد نجاة تمتد إليك فلا تردها وصوت حنون يناديك فلا تخذله..فالحق بركبنا.. لا تُلهك الآمال.. الزاد قليل.. والطريق طويل.. والعمر قصير.

٢- كتاب (أنا الفقير إليك) – دار ابن الجوزى(إبداع):

يقول لك: أجلس قلبك على كرسيه وشد رحاله إلى العبودية.. واحصد سنابل المعية.. ويشدو يا سادة : أشهروا إفلاسكم.. تذللوا لخالقكم.. انكسروا لحبيبكم.. اشكروا رازقكم.. اخضعوا لعظيمكم.. ويلقي على قلبك قميص يوسف عساه يرتد بصيرًا.. فاعترف أنك عبد لله وعلق الشعار الثمين« أنا الفقير إليكَ ».

٣- كتاب (امرأة بدرجة امتياز) – دار ابن الجوزى(إبداع):

صرفت وجه الحديث فيه إلى: الجوهرة المكنونة.. والدرة المصونة..إلى مربية الأجيال.. وصانعة الرجال..إلى صاحبة الهمة العالية والعزيمة الماضية..إلى حفيدات خديجة وعائشة.. وأخوات حفصة وفاطمة.. وإلى كل راعٍ مسئول عن رعيته.. وتقرئين فى دليل الانطلاق: سر البداية وكيف تكونين بطلة قصتك؟ ومن ترفع سعرها؟ وما هى الجائزة الكبرى؟ وهل هناك نقطة التحول تجعلك من أهل القمة، وفى الختام استلام شهادة الامتياز.. فهل سنرى بصمتك؟!

٤- كتاب (حين تصفو القلوب) — دار ابن الجوزى (إبداع):

إطلالة متأنية على القلوب.. من خلالها نجرى التحاليل اللازمة ونطلع على رسم القلب.. فنحمل لك أنسب الدواء.. ونضمن بإذن الله سرعة الشفاء ونُهديك الوصفة المُوصى بها.. لتجد قلبك ضمن القائمة الناجية ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.. كما يحمل لك مشاعر أجّلت بثها.. وأخوة فى الله ادخرت البوح بها.. فهل أنتم موافقون، ومشتركون؟ وهل ستوقع معنا عقد سعادتك؟!..

٥- موسوعة (هنعيشها صح) — دار ابن الجوزى (إبداع):

موسوعة لا غنى عنها: تبدأ بعزاء واجب.. لأن المعاملات أطلعتك على مناقرة الديوك ونطاح الكباش.. فنُصرح ولا نُعرض.. فالحال ناطقة.. فالحياة تتجدد والمكان يتجدد.. فلماذا لا يتغير سلوكنا؟! ونُحسن أخلاقنا؟! فالميدان ميدانك والزفرة زفرتك.. فأمتنا تحتاجنا.. ورسولنا ينتظرنا.. فيا شباب معا نرجع للدين مكانته.. ويسترد عرش الأخلاق سلطانه، ونعيشها صح الصح..

٦- موسوعة (نفحات فى أيام الله) — دار ابن الجوزى (إبداع):

يجعل ذاكرتك خلابة خصبة.. يطريك ويعجبك لأنه يغوص حول مواسم العام.. من رمضان وهجرة وعشر ذى الحجة وثباتك بعد رمضان واعتكافك، وعيدك الذى هو جائزة السماء..فأوشيه بألفاظ أجمل من زهر الرياض.. ليتعرف الشباب على النفحات.. فما هو إلا أن تمعن النظر وتعيد البصر كرتين.. فتعجبك الكلمة الجميلة.. فتتمتع بحسنها.. ويشدك جرسها ويخلبك سرها.. وتعمل على إثرها..

٧- كتاب (أحلى رمضان) — دار ابن الجوزى (إبداع):

نهديه إلى: الهمم المعطلة والطاقات المحبوسة..إلى القلوب التى سئمت الغفلة وحنت إلى اليقظة..إلى العقول التى أنفت الغربة ونوت العودة..إلى من نام وسبح فى الأحلام.. اصح يا نائم لتوحد الدائم..قف على ساحل رمضان عسى نسائم القبول

تتعرف عليك.. فهيا.. أفسحوا لأنفسكم الطريق وأوقفوا نزيف الحسنات..واكتبوا أول كلماتكم فى صحيفتكم البيضاء..

٨- كتاب (رحلة قلب) - دار الأندلس الجديدة- وهو الذى بين يديك:

يا شباب: حياتك.. أيامك..رحلات متفرقة ترى فيها ما تحبه وما لا تحبه؟!ما تختاره وما لا تختاره؟!(العمرة - العمل - سفارى - المسجد - الجامعة - عمل الخير- النادى.. وهكذا) كلها رحلات تصب فى القلب..فيتأثر بها.. ويعيش فيها.. وتستقر فى مفاهيمه.. وتنضح فى سلوكه.. وتصبح حاله.. وتكتب عنوانه..فأصلح معنا قلبك والفرصة فى يديك..قبل أن:يتوقف القلب وينقطع النفس فتخلص الحياة.. وتنتهى الرحلة!!

٩- كتاب (ليطمئن قلبى) - دار ابن الجوزى(إبداع):

يا صاحبى:هل تعرف قلبك؟ وما نوعه؟ وما أهميته؟ وما قيوده؟ ولماذا نظر الرب إلى القلب؟! وكيف تحرس أبواب قلبك من تسلل الأعداء؟ وهل هناك شاب لا قلب له؟! وهل هناك ما يسمى(ميلاد قلب)؟! وما العقاقير التى تشفى القلب إذا اعتراه فتور وكسل؟ وما مصادر نور القلب؟ والتعرض لقضية مهمة وملحة وهى القلوب بين الجنة والنار.. كى نصل لهدف ننشده ومأرب نبحث عنه وهو: سكينة النفس ورضا الرب وقبول العمل وطمأنينة القلب.. ليطمئن قلبى..

١٠- كتاب (يا شباب: هذا رسول الله) - دار الأندلس الجديدة:

إلى من عرفه فأحبه.. وسمعه فأطاعه..إلى من يهيم قلبه شوقًا لمرافقته.. وولهت نفسه لشفاعته.. إلى من صاح لسان الشوق فى قلبه: نظرة من محمد ﷺ أحب إلىّ من الدنيا وما فيها..

تعالوا بنا يا شباب: نفتح أبواب القلوب.. وتنطق جوارحنا بالأعمال ونسعد قلب نبينا ﷺ بالاتباع.. فتهب ريح الثواب وعلى الحوض يحلو العناق وفى الجنة يطيب اللقاء.. وغدًا نلقى الأحبة محمدًا وصحبة..هلا قبلت أن تكون معنا؟!

١١- كتاب (نادى المحبين) - دار ابن الجوزى :

يا صاح: أشهر حبك لله وهل لك من رازق ومدبر إلا هو؟! وأعلن حبك لحبيبك ﷺ وهل من شافع ومشفع إلا هو؟! وتخيلوا نظرة الله عز وجل لهذه القلوب التى اجتمعت على حبه وتعاونت على طاعته وتعاهدت على عبوديته..وشعارنا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله﴾ فاللهم انظر إلينا الآن نظرة رحمة ورضا فلا تعذبنا بعدها أبدا واجعلنا من أحبابك.. فَهل نستطيع أن نصل لمليون محب؟!! فمن معنا؟!

١٢- كتاب (وقفات شبابية) :

من الشباب إلى الشباب.. نقف وقفات شبابية.. نطرح أفكارًا شبابية.. نعالج مشكلات شبابية.. ونتحاور حوارات شبابية.. وهو كتاب كل الشباب.. وشاركونا يا شباب..

ونرقبوا (إن شاء الله)

كتاب «شباب زينا».

كتاب «طبعًا نقدر».

كتاب «شباب ناجح جدًّا».. بلا تعليق!!!!

موسوعة «هل بدأت رحلة المليون؟!! ».

الموسوعة التى طال انتظارها.. وفيها نحكى الحكاية من البداية؛ و.. لحظة يا صاحبى أن تغفل.. كتاب ينتظر قراءتك ورد فعلك.. و.... وكلاااام كتيير؛؛..... جدًّا!!!!

* * *

المكتبـــة

مكتبة القرآن وتفسيره:

* تفسير القرطبى – القرطبى.
* تفسير القرآن العظيم- الإمام ابن كثير .
* فتح القدير- الشوكانى.
* صفوة التفاسير- الصابونى.
* تفسير السعدى- الشيخ السعدى.

مكتبة الحديث وشروحه:

* فتح البارى- ابن حجر العسقلانى.
* شرح صحيح مسلم- الإمام النووى.
* اللؤلؤ والمرجان- محمد عبد الباقى.
* دليل الفالحين- محمد بن علان المكى.
* شرح رياض الصالحين- النووى.
* رياض الصالحين- النووى.
* عون المعبود- أبو داود.
* مختصر صحيح مسلم- الألبانى.
* صحيح الجامع الصغير- الألبانى.
* السلسلة الصحيحة- الألبانى.
* الروضة الناضرة- عبد الفتاح القاضى.
* المختار من كنوز السنة- محمد عبد الباقى.
* جامع العلوم والحكم- ابن رجب الحنبلى.
* الاعتصام- الشاطبى.
* شعب الإيمان- البيهقى.

* الأحاديث القدسية- دار التوزيع والنشر.

مكتبة العقيدة:

* العقيدة الواسطية- ابن تيمية.
* المنة فى شرح اعتقاد أهل السنة- ياسر برهامى.
* فضل الغنى الحميد- ياسر برهامى
* أصول العقيدة- محمود الرضوانى.
* العقيدة فى الله- عمر الأشقر.
* شروح العقيدة الطحاوية- مجموعة علماء.
* الإرشاد- صالح الفوزان

مكتبة الزهد والرقائق:

* نضرة النعيم- مجموعة من العلماء.
* إغاثة اللهفان- ابن القيم.
* الفوائد- ابن القيم.
* الوابل الصيب- ابن القيم.
* الداء والدواء- ابن القيم.
* مدارج السالكين- ابن القيم.
* زاد المعاد- ابن القيم.
* طريق الهجرتين- ابن القيم.
* جلاء الأفهام- ابن القيم
* مفتاح دار السعادة- ابن القيم.
* صيد الخاطر- ابن الجوزى.
* بحر الدموع- ابن الجوزى.
* المواعظ والمجالس- ابن الجوزى.
* إحياء علوم الدين- أبو حامد الغزالى.

* مكاشفة القلوب- أبو حامد الغزالى.
* منهاج العابدين- أبو حامد الغزالى.
* الرعاية لحقوق الله- الحارث المحاسبى.
* التذكرة- القرطبى.
* تهذيب مدارج السالكين- عبد المنعم صالح العلى.
* لطائف المعارف- ابن رجب الحنبلى.
* الزهد- أحمد بن حنبل.
* الزهد والرقائق- ابن المبارك.
* مختصر منهاج القاصدين- ابن قدامة المقدسى.
* الرسالة القشيرية- الإمام القشيرى.
* استنشاق نعيم الأنس- ابن رجب الحنبلى.
* تحفة الذاكرين- الشوكانى.
* تنبيه الغافلين- السمرقندى.
* تنبيه المغترين- الشعرانى.
* نزهة المجالس- الصافورى الشافعى.
* أسماء الله الحسنى- د: محمود الرضوانى.
* فقة القلوب- التويجرى.
* مواعظ الأنبياء- مجدى فتحى السيد.
* منهج التابعين فى تربية النفوس- عبد الحميد البلالى.
* تأملات فى الدين والحياة- محمد الغزالى.
* الكبائر- الإمام الذهبى.
* ١٠٠ قصة وقصة- محمد أمين الجندى.
* المستطرف من كل فن مستظرف- الأبشيهى.
* أدب النفوس- الآجرى.

* الزهد والرقائق- عبد الله المروزى.
* طهـــارة القلـوب- عبد العزيز الديرينى.
* الوقت عمــار أو دمار- جاسم المطوع.
* الطيبات مــن الـرزق- أبو ذر القلمونى.
* تزكيـة النفس- ابن تيمية.
* لا تحزن- عائض القرنى.
* صحيح وصايا الرســول- سعد يوسف أبو عزيز.
* من وصايا الرســـول- طه عبد الله العفيفى.
* علـو الـهمـــة- محمد إسماعيل المقدم.
* مواقف إيمانية- أحمد فريد.
* منهاج المسلم- أبو بكر الجزائرى.
* شد الرحــال إلى الله- شريف شحاتة.
* أنا الفـــقير إليك- شريف شحاتة.
* حين تصفو القلوب- شريف شحاتة.
* امرأة بدرجة امتياز- شريف شحاتة.

مكتبة السـير والتراجـم:

* سير أعلام النبــلاء- الذهبى.
* البــداية والنهاية- ابن كثير.
* حليـة الأوليـاء- أبو نعيم الأصفهانى.
* صفـة الصفــوة- ابن الجوزى.
* مناقب عمر بن الخطاب- ابن الجوزى.
* الفوائد الغراء- الشريف فهد المهدلى.
* صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين- محمود المصرى.
* الحسن البصرى- د.السيد الجميلى.

* حياة الصحابة- الكاندهلوى.

مكتبة اللغة والأدب:

* وحي القلم- مصطفى صادق الرافعى.
* العقد الفريد- ابن عبد ربه.
* النفحات- عبد الوهاب عزام.
* التبيان والتبيين- للجاحظ.

* * *

مع...

خبرات الحياة.

واستقراء الواقع.

والعلاقات الاجتماعية.

والدراسات الإنسانية.

كل.. فى آن واحد بين يديك..

* * *

قائمة الرحلات

الرحلة الثالثة

سبحان ربي العظيم

الرحلة الرابعة

حسن الظن بالله

الرحلة الخامسة

التقوى.. حزام الأمان

الرحلة السادسة

الصدق.. كلمة السر

الرحلة السابعة

قلبى سليم

الرحلة الثامنة
نقطة تحول

الرحلة التاسعة
شهادة ميلاد

* * *

دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان - تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ / ٠١٥

مكتب القاهرة - ت: ٠٢٢٤٠٣٨١٣٧ - فاكس : ٠٢٢٤٠١٧٠٥٣